محمود عبد الكريم حسن

أوراق في

خطط القضاء على الإسلام

من أتاتورك إلى أردوغان

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

قال الله ﷻ

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ
مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾

وقال رسول الله ﷺ

"لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ"

الـمـقــدِّمـــة

تعطيل التفكير أساس الداء والبلاء

لم يكن تراجع المسلمين في يومٍ من الأيام أو انهزامهم نتيجة قلة عدد أو نقص عتاد، ولا نتيجة ضعف مادي، وإنما كان ذلك في الأغلب الأعم نتيجة ضعف إيمان وضعف تفكير، ونتيجة تضييع المسؤوليات التي ينبغي على كل مسؤول أو راعٍ أن يتحملها ويقوم بأمرها. وبتعبير آخر: يستفحل الجهل وتتوالى الهزائم عندما يتسلم التافهون مسؤولية الناس، سواء في شؤون العلم وبيان أحكام الشرع للناس، أو في الحكم ورعاية الشؤون. ويُصدِّق ذلك الحديث الصحيح الذي أخرجه ابن ماجة في سننه وأحمد في مسنده والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: "سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: الرَّجُلُ التَّافِهُ يَنْطِقُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ". وهكذا، يُضعف تأثير الأحكام الشرعية في المجتمع، ويتلاشى تدريجياً تأثير الأفكار، ويضمحل تبعاً لذلك التفكير، حتى إذا استفحل الأمر استعصت النهضة على الأمة وصارت أصعب بكثير. ومهما خاطبت العقول أو حفّزتها بالفكر، أو وعظت بالشرع ورغّبت ورهّبت، فالتأثير شبه معدوم لأن التفكير معطل.

نعم، إذا أصيب التفكير كانت النتائج كارثيَّة على مستوى الأمة، وكان العلاج أو التجديد صعباً جداً، لأن العلاج يقتضي خطاب العقل والدعوة إلى النظر والتفكير لأخذ الصحيح ورفض الغلط، وأنَّى يكون هذا إذا كان الداء في التفكير نفسه!

وهذا أهم وأخطر ما أصاب الأمة الإسلامية، وهو ضعف تأُثير الواقع وحقائقه، مهما تم بيانها ولفت النظر إلى النتائج التي تؤول إليها. وقد كان هذا الضعف، بل قل عمى القلوب والبصائر، من أوصاف الكافرين الذين يرفضون دعوات الأنبياء ولا ينفع معهم دليل أو برهان، ولا موعظة أو بيان. لذلك وصفهم القرآن الكريم في مواضع كثيرة بأنهم أضلُّ من الأنعام. فقد أعطاهم الله ﷻ السمع والبصر والقلوب، ليعقلوا ويميزوا بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ، وليفقهوا ويهتدوا، ولكنهم اتبعوا أهواءهم فكأنهم لا يسمع ولا يُبصر، فكأنهم لا يعقلون. قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)﴾ سورة الفرقان. وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ سورة الأعراف.

وهذا الداء من أخطر الأدواء، وهو لا يُضعف الأفراد أو يقتلهم، ولكنه يضعف الأمم والجماعات ويقضي عليها. وهذا ما أصاب المسلمين منذ قرون، ثم أخذ ينتشر في الأمة ويشتد عليها حتى فتك بها وقضى على تأثيرها وفاعليتها، وجعلها منفعلة ومفعولاً بها لا فاعلة، ومِزقاً تابعة وفِرقاً متناحرة. وهي وإن ظهرت عليها اليوم أعراض التعافي من هذا المرض، وتلمُّس طريق النهضة والترقي فيه، فتأُثير هذا الداء ما زال شديداً عليها.

ورغم كل ذلك، فلا بد من قصد العلاج والقضاء على هذا الداء مهما كان شديداً وعصيّاً، ولا بد من بذل كل ما يلزم لذلك، مهما كان مكلفاً وصعباً

وبطيئاً. فهذه الأمة هي خير أمة أخرجت للناس، وهي وارثة المسؤولية النبوية عن البشرية، لذلك فهذا العلاج واجب بل هو من أعظم الواجبات، لأنه لا بد منه كي تقوم الأمة بما أوجبه الله عليها من الشهادة على البشرية وقيادتها وإخراجها من الظلمات إلى النور. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...(١٤٣)﴾ سورة البقرة.

وإن طاقات الأمة الإسلامية وإمكانياتها لضخمةٌ وهائلةٌ على كل الصعد المادية والروحية، ولو وضع جزءٌ منها في مشروع سياسي يقوده مفكرون سياسيون ومخلصون، لكان كفيلاً بتحقيق هذا الدور المناط بالأمة. ولكن هذا الداء يحول دون التفكير العملي الذي يوظّف هذه الطاقات وينظّمها في خطط منتجة تؤدي إلى الهدف المنشود. ومن مظاهر هذا الداء مواقفُ الأمة من الأحداث التي ما زالت تتوالى عليها منذ ما يزيد على قرن، وانفعالُها بهذه الأحداث. فقد كان أعداء الأمة – خلال هذه الفترة – هم الذين يرسمون السياسات في بلاد المسلمين، وهم الذين يصنعون الأحداث، وهم الذين يرصدون ردود الأفعال ويوجهونها، وهم الذين يصنعون للشعوب قضايا تتمسك بها، وقيادات تصفق لها وتلهث خلفها إلى عبوديتها أو مذبحها. وهكذا غفلت الأمة عن أنها خير أمةٍ أُخرجت للناس بما أكرمها الله به من عقيدةٍ ورسالةٍ ومسؤوليةٍ عن الناس كافّة. قال ﷻ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...(١١٠)﴾ سورة آل عمران.

المؤلف

خطة القضاء على الإسلام بإلغاء الخلافة ومنع تطبيق الإسلام

قبل أن يسقط الغرب دولة الخلافة في ٣ آذار ١٩٢٤ كان يرى فيها خطراً على حضارته، وعلى وجوده السياسي الذي لا يمكن أن يستمر إلا باستعمار الشعوب والهيمنة على مقدراتها. وكان يرى أن هدم الخلافة وإلغاء تطبيق الاسلام على المسلمين سيؤدي الى القضاء على الاسلام بمحوه من الوجود كنظام حياة. وقد استطاع أن يهدم الخلافة في زمن انحطاط فكري، زاد من حدته ضعف التفكير السياسي الذي حجب عن الأمة رؤية حقيقة الداء الذي أصابها، وسمح بتغلغل العملاء في هيكل الدولة ومفاصل المجتمع. ومن أهم هؤلاء مصطفى كمال أتاتورك. وبالفعل عاش المسلمون بعد هدم الخلافة ضعفاً شديداً وذلاً كبيراً زادهم انحطاطاً وبعداً عن الاسلام، حتى قُضيَ على الوجود السياسي للإسلام في حياة المسلمين، وأوشك أن يتلاشى المعنى الحقيقي لرسالة الإسلام من أذهانهم.

بعد توقيع معاهدة لوزان الثانية في ٢٤ تموز ١٩٢٣ والتي اعترفت بريطانيا بموجبها بالدولة التركية التي قامت على أنقاض الدولة العثمانية وعلى جزء من أراضيها، إحتج بعض النواب البريطانيين في مجلس العموم البريطاني على اللورد كرزون وزير الخارجية آنذاك، وسألوه: "كيف اعترفَتْ بريطانيا باستقلال تركيا التي يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية مرة أخرى وتهجم على الغرب؟" فأجاب كرزون: "لقد قضينا

على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم، لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين: الإسلام والخلافة".

وهكذا اطمأنوا إلى انتصارهم على الإسلام انتصاراً نهائياً، وإلى أنهم تخلصوا من دولة الخلافة التي كانت تهدد ظلمهم للشعوب وسعيهم للهيمنة عليها واستعمارها، وزال رعبهم من الفتوحات الإسلامية التي ملأت التاريخ طولاً وعرضاً ووصلت إلى أعماق أوروبا. وانقلب اتجاه الأحداث وأخذ المسلمون يتراجعون أمام الغزو الغربي، ليس العسكري فقط، وإنما الفكري أيضاً، وتحكم الكفار بالمسلمين وصاروا أسياداً لحكامهم، بل صاروا هم الذين ينصِّبون عليهم حكامهم، ويختارونهم من أعداء الإسلام، أو من أهل الحقارة والصَّغار ليتمكنوا منهم أيَّما تمكُّن، وليضربوا بهم أخيار الأمة وعُلماءها وأشرافها وكُبَراءها.

نماذج من زعماء صُنعوا لضرب الإسلام

لقد دأب الغرب منذ حوالي قرنٍ على تنصيب حكام المسلمين وعلى صناعة زعمائهم. وعلى سبيل المثال، فإن الأوروبيين وعلى وجه الخصوص الإنكليز، هم الذين صنعوا لها من اليهودي الحاقد على الإسلام والمسلمين مصطفى كمال أتاتورك قائداً، وجعلوا المسلمين يمجدونه ويصفقون له كبطل ويمنحونه لقب "الغازي"، ويشبِّهونه بقائد الفتوحات الإسلامية الفذّ خالد بن الوليد ﵁، حتى إذا استتبَّ له الأمر وصار محل ثقة الناس وإكبارهم انقض على الأسلام وقطع رأسه بالقضاء على الخلافة، وطمسَ شريعته وفتك بأمته.

وأعداء الأمة وعلى وجه الخصوص الأميركان، هم الذين صنعوا للأمة أو لشعوبها العربية جمال عبد الناصر الذي صوروه (الزعيم الخالد) و(القائد الأسطورة) الذي لا مثيل له، والذي سيطرد الإستعمار ويوحد الأمة ويحرر فلسطين والمقدسات. وإذا به – كمصطفى كمال أتاتورك – يحارب الإسلام ويفتك بالداعين إليه، ويُمكِّن للإستعمار والاحتلال ويكرِّسه. وهكذا يُقال في كل الذين يسمونهم زعماء وقادة لبلاد المسلمين من حكام أنذال أرذال يصورونهم قادةً وحكماء، أو مقاومين للاستعمار والاحتلال. ومازال عدو الأمة اللدود؛ الغرب الكافر يصنع للمسلمين قادتهم، ويرفع من شأن صنائعه كي تتمسك الأمة بهم أكثر، وكي يستطيعوا أن يسوقوا الأمة بسهولة إلى مزيد من الانحطاط، بل إلى الموت.

والأمر نفسه يفعله الغرب الكافر اليوم بالترويج لحاكم تركيا رجب طيب أردوغان، وباعتماد سائر أنواع الدعاية والضجيج لاجل ذلك. وإن أدنى عملية تفكير تُري أنه لا يختلف في وظيفته عن مصطفى كمال أتاتورك وجمال عبد الناصر من حيث الكيد للإسلام والمكر بأهله، بتنفيس صحوة المسلمين، وبمصادرتها وتوجيهها نحو مواجهة الإسلام، وبالترويج للكفر بعد تسميته إسلاماً معتدلاً، أو نموذجاً حديثاُ للإسلام، وبتنفيذ السياسات الغربية وتحقيق الأهداف التي تحفظ مصالح الغرب الكافر وتحميها وتحافظ على أمن إسرائيل وتعقد معها المعاهدات الاقتصادية والعسكرية، وبفتح البلاد وزرع قواعد فيها للكفار وجيوشهم وطائراتهم، تحسُّباً لقيام دولة الخلافة، واستعداداً لضربها والقضاء عليها، وللقضاء على كل بارقة

أمل عند الأمة للانعتاق من هيمنة الكفر والكافرين، وليحاربوا الإسلام ويدمروا بلاده ويقتلوا أهله، ويفرضوا أنظمتهم وقوانينهم وسياساتهم، كما يفعلون في سوريا وأفغانستان وغيرهما. وهذا من استراتيجية "الحرب على الإرهاب" التي تقودها أمريكا.

ورغم كثرة الوقائع الدالة على هذا الأمر، نجد الأمة غافلة عن هذه الحقائق، فلا تستنتج منها ولا تبني عليها، بل تندفع عاطفياً في أعمال تزيدها ضعفاً ويأساً، وتحتفي بقيادة أعدائها لها، فتشد الحبل على عنقها أكثر، وتلهث خلف أهواء وضلالات، لا تستفيد من تجارب ولا من عثرات ومن لا يعرف الحق يتقلَّب في الضلال. قال الله ﷻ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢)﴾ سورة يونس.

١. مصطفى كمال أتاتورك مثالاً

كان الغرب في القرن التاسع عشر مهتماً بضرب الإسلام إلى حد كبير، ويخطط لذلك ببراعة ويعمل بجد. وكان المسلمون أعزاء بدينهم وأقوياء بخلافتهم. فلم يكن سهلاً على الكفار ضرب الإسلام فضلاً عن هدم دولته والقضاء عليها كما حصل مطلع القرن العشرين. ففعلوا الأفاعيل بالاختراق والإشاعات، وإثارة النعرات والتفريق بتحريك القوميات، وبالخطط السياسية والعسكرية.

وكان مما فعلوه من خطط المكر التي نجحت بسهولة، وكانت نتائجها كبيرة وخطيرة، وتداعياتها على الأمة الإسلامية كارثية، صناعة بطل وزعيم إسلامي كبير للمسلمين. وذلك أنهم أتَوْا برجل من الجيش من

المدسوسين على المسلمين لأغراض يضمرها الكفار، وهو من الدّ أعداء الاسلام. ولكنَ ظاهره مسلم واسمه كذلك، وصنعوا له انتصارات عسكرية مذهلة آنذاك على اعداء الاسلام والخلافة من الانكليز واليونانيين، وعملوا لانتصاراته تلك احتفالات وأهازيج، وروجوا لها كثيراً بين المسلمين، حتى شعر المسلمون أنهم أمام بطل تاريخي مميز، يعيد لهم أمجاد خالد بن الوليد ﵁ وانتصاراته. ولما وصل هذا الرجل إلى هذا الحد من الثقة والحب عند المسلمين، وتغلغل مع غيره من المدسوسين والعلمانيين في أماكن ذات نفوذ وحساسية في الدولة، استطاع ان ينفذ بهم إلى أهم مفاصل الخلافة ومراكز النفوذ، فهدم الخلافة وحارب تطبيق الإسلام، ومنع الحجاب ومنع الأذان بالعربية وغير ذلك. حتى صار الإسلام غريبا في تركيا، وتم وضع تركيا بشكل محكم داخليا وخارجيا تحت حكم كفر وبقبضة علمانيين شديدي الكفر والعداء للإسلام. هذا الرجل هو اليهودي مصطفى كمال أتاتورك، يهودي إسمه مصطفى!

جاء في كتاب "كيف هُدمت الخلافة" لفضيلة الشيخ عبد القديم زلوم رحمه الله، في الصفحات ٧٧ و٧٨ و٧٩: "إن فكرة الحلفاء في انسحاب تركيا من الحرب (العالمية الأولى) وإثارة أطماع الضباط في الحكم كانت موجودة، إلا أنهم كانوا يريدون تمزيق الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة... وكان مصطفى كمال ضابطاً صغيراً مغموراً عند بدء الحرب، وإن كان معروفاً بأفكاره الغربية وبثورته على أفكار الإسلام، ومعروفاً بميله للإنجليز وكرهه للألمان. ولم يظهر إسمه ويلمع إلا بعد اشتراكه في معركة "أنافورطة"، فإنه منذ ذلك الحين اكتسب دعاية واسعةً، ونبه ذكره

وصار مشهوراً". ويبيّن الكتاب كيف اصطنع الإنجليز لمصطفى كمال انتصاراً وروَّجوا له ولاسمه وصنعوا منه بطلاً فيقول: "... ظهر مصطفى كمال يقود الجيوش العثمانية بالقرب من "أنافورطة" في موقعةٍ من أشد المواقع خطورةً بالقرب من الدردنيل، وكانت المعركة تدور على تل يحتل الأتراك أعلاه ويحتل الإنجليز سفحه ويحاولون الإستيلاء عليه... واستمروا على ذلك عدة أشهر، وفجأةً في ذات ليلةٍ من ليالي كانون الأول في ١٥ منه (من العام ١٩١٥)، في جوٍ محفوفٍ بالكتمان الشديد قام الإنجليز بإخلاء المكان... وأقلعت السفن الحربية بعد أن عُبِّئت في سرعةٍ تدعو إلى الدهشة، فكان ذلك الإنسحاب هو الذي أنهى المعركة. ولما انتهى القتال قدّم القائد مصطفى كمال تقريره عن المعركة للقائد الألماني العام، وقدم مع التقرير ساعته التي تهشمت تهشيماً تاماً، فقد أصابتها رصاصة ولم تصب مصطفى كمال... وبهذه المعركة لمع نجم مصطفى كمال، وصارت له شهرةٌ عظيمة في الجيش العثماني، إذ قد أحيطت هذه المعركة بدعايةٍ واسعة، واعتبرت انتصاراً باهراً لمصطفى كمال على الإنجليز". وبهذا أخذ يشتهر هذا اليهودي بين المسلمين كقائد فذ يحقق الإنتصارات، والإنجليز يروجون له في كل مناسبة، ثم صنعوا له انتصاراً آخرَ كبيراً علي اليونانيين في العام ١٩٢٢ زاده شهرة على شهرة. قال الشيخ عبد القديم زلوم رحمه الله في الكتاب نفسه "كيف هُدمت الخلافة" في الصفحات ١٦٥ و١٦٦: "عاد الجيش العثماني للانهزام (أمام الجيش اليوناني)، وحار القائد العام في أمره، ولم يدرِ هل يأمر الجيش بالتقهقر أو يطلب منه البقاء في مكانه... وفي الساعة الثانية

صباحاً جاءت الأنباء بأن الجيش اليوناني توقف عن الهجوم وأخذ ينسحب، وكان ذلك في السابع من شهر أيلول ١٩٢٢. وحينئذٍ ارتد الجيش التركي على اليونانيين وصار يهاجمهم وهم ينسحبون... وطلبت إنجلترا وفرنسا وإيطاليا الهدنة، فعقدت في الحادي عشر من تشرين الأول ١٩٢٢، وتخلى فيها اليونان عن "تراقية" حتى "مريج"، وبذلك انتهت الحرب بين اليونان وتركيا. هذه خلاصة وقائع الحرب التي قامت بين مصطفى كمال واليونانيين كما حصلت بالفعل لا كما حاولت الدعاية الغربية أن تصورها في ذلك الحين. وهي وقائع تدل على أن انسحاب اليونانيين وتراجعهم عن الأراضي التي احتلوها لم يكن نتيجة معركةٍ فاصلةٍ دارت بينهم وبين مصطفى كمال أحاقت بهم فيها الهزيمة، بل على العكس من ذلك ففي ذلك الوقت الذي بدأ فيه اليونان بالتراجع والانسحاب كانوا هم المنتصرين، وكان الجيش التركي هو المنهزم، وكانت حالته المعنوية في منتهى السوء، وكان اليأس قد أخذ يفت في عضده. ومن هنا يظهر جلياً أن انسحاب اليونانيين على هذا الشكل يدل على أن ضغطاً دولياً قد وقع على اليونانيين فاضطرهم إلى الإنسحاب. ولا شك أن ذلك الضغط كان من قِبَلِ الحلفاء بدليل أن إنجلترا وفرنسا وإيطاليا بادرت إلى طلب عقد الهدنة بين اليونان وتركيا بعد أن تم تراجع اليونانيين وانسحابهم، فعقدت الهدنة بالفعل". ويضيف الشيخ عبد القديم زلوم رحمه الله تحت عنوان: "الإنجليز يعملون دعايةً ضخمةً لمصطفى كمال" فيقول: "وقد اتخذت إنجلترا هذه المعارك بين الأتراك واليونان أداةً من أدوات التمكين لمصطفى كمال كي يلغي الخلافة. فقد طيّرت انجلترا

بالـذات هـذه الأخبـار ونشـرتها نشـراً واسـعاً فـي جميـع أنحـاء العـالم الإسلامي، وأوجدت دعايةً لمصطفى كمال في داخل تركيا وفي خارجها، حتـى طـار صيته فـي كـل مكـان بأنـه المنتصـر، وبأنـه أخـرج اليونـان، وحارب جميع الحلفاء وأخرجهم، حتـى لُقِّبَ بالغازي. وهذا ما مكَّن لحكم مصطفى كمـال أن يتمركـز فـي البلاد ليُنزل فيما بعد بالمسلمين وبحكم الإسلام ضربةً مميتةً تمثلت في إلغاء الخلافة، وإزالة سلطان الإسلام في الأرض".

كـان هـذا مثـالاً علـى أعمـال الكيد والمكـر مـن الكفـار الأوروبيـين وعلـى رأسهم الإنجليز لصناعة القادة للمسلمين، ولتمكينهم من السلطة، لِيَنْقضّوا بعد ذلك على المسلمين ويوقعوا بهم الهزائم الكبيرة.

وهنا لا بد من وقفةٍ وتساؤل: كيف كـان يجب ان ندرك حقيقة مصطفى كمـال أتـاتورك فـي الوقت المناسب؟ وكيف كـان يجب ان نتجنب خطره ونحبط المؤامرة؟

والجواب: كـان يجب ان ننظر الـى كافـة اعمالـه وتحركاتـه وعلاقاتـه، وان ننظـر كمحللـين سياسـيين مسـؤولين عـن الأمـة وعـن الإسـلام، وعـن استمرارية تطبيقه وسلطانه. وليس أن نأخذ الأمور كما يصورها الإعلام المشبوه، ويروّج لها الأعداء أو العملاء، ولا الإنفعال بالأعمال التي تخدم عمليـة تلميـع مصـطفى كمـال أتـاتورك وإشـهاره، أو التـرويج لـه أو لأي شخص آخر. كان يجب عدم الانفعال أو الانبهار بالدعايات والاحتفالات التـي تحـرك العواطف وتقدم الوعود التـي لايدل عليها شـيءٌ من الواقع. كـان يجـب النظـر بمسـؤولية وحـذر وموضـوعية، ومحاكمـة الـدعاوى

والمزاعم، وعدم تضخيم الإنجازات التي لو وضعناها في ميزان الشرع لوجدناها هباءاً! وكان يجب التحقق من كثير من مزاعم البطولات أو الإنجازات والانتصارات وما شاكل ذلك، والتأكد منها هل هي موجودة ام أنها مجرد دعايات وبهرجات خداعة لإحكام القبضة على العقول والقلوب.

وكان يجب النظر بموضوعية ومسؤولية، إلى أدوار الدول الغربية ومواقفها، وإلى أعمال أجهزتها وإعلامها ومخابراتها، وحقيقة مواقفها من أتاتورك ومن سياسته وأعماله. وكذلك كان ينبغي فهم الأحداث والحكم عليها بناء على حقائق الواقع وحقائق الشرع، والشك بما تقدمه الأجهزة العميلة، وذلك بناءاً على وجوب التبيُّن والتثبت من المزاعم. قال تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا(٦)﴾ سورة الحجرات. وقال أيضاً: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١)﴾ سورة البقرة، وسورة النمل (٦٤).

ولكن لما لم يحصل ذلك، وإن حصل منه شيء فقليل جداً، وعند أفراد قليلين لم يستطيعوا شيئاً أمام انخداع الجماهير وانحدار تفكيرها وانسياقها خلف العواطف والأكاذيب، وعدم سماعها صوت الحق والحقيقة الذي اختنق وسط صخب التفاهات وضجيج الصغائر التي كبروها واحتفلوا بها، استطاع الغرب والإنجليز والفرنسيون آنذاك توجيه التفكير السياسي عند المسلمين، وصنعوا لهم قادتهم ثم قضاياهم ومواقفهم ومشاعرهم. فكانت النتيجة ضربة قاصمة للإسلام وأمته، حيث هدمت دولته، وألغيت خلافته، وظهر الكفار الأوروبيون واليهود على المسلمين. ثم قُسِّمت بلاد المسلمين وأقيمت دولة يهود، وانتشر الكفر وانتهكت الأعراض والمقدسات. وهذا كله بسبب التخلي عن الحقائق وعدم تقصد إدراكها،

وبسبب تصديق دعاوى الكفار ومخادعاتهم، وتصديق الدجل والتمثيل الذي ظهر به أتاتورك، وكل ذلك في خطة محكمة مرسومة إنجليزيا، تعاون عليها الكفر بقضه وقضيضه. والأنكى من كل ذلك هو أن المسلمين ساروا فيها بأيديهم وأرجلهم مصفِّقين ومسرورين، فساعدوا أعداءهم على أنفسهم وعلى أهلهم وبلادهم ومقدساتهم.

٢. جمال عبد الناصر مثالاً

وتكررَ الأمرُ بعد ذلك في خطط مماثلة، من أبرزها صناعة أمريكا لجمال عبد الناصر كزعيم عربي مميز، حصل على ثقة كبيرة منقطعة النظير من شعب مصر ومن الشعوب العربية، تمكن بها بعد ذلك من تنفيذ خطط أمريكا، ومن جعل الشعوب تلهث لعقدين من الزمن تقريباً خلف سراب، ولا تحصد إلا التخلف والهزائم، وتبادر بنفسها إلى ضرب ذاتها وطاقاتها، وإلى القضاء على كل أمل واعد فيها. فلطالما خطب في الناس عن الوحدة العربية التي سيحققها، وعن الأمة العربية التي سيبني لها المكانة والعزة، وعن تحرير فلسطين شبراً شبراً وإزالة إسرائيل، وعن طرد أمريكا والقضاء على الاستعمار. ولكن الذي فعله هو نشر الفساد والرذيلة، والانحطاط والكفر، وتفاهات الاشتراكية والقومية العربية، حتى جعل الناس كالسكارى. وكذلك فقد حارب الإسلام والمؤسسات الدينية كالأزهر وتدخل في مناهج التعليم الديني وأفسدها، وكان سبباً وأداةً لهزيمة حزيران ٦٧، إحدى أكبر هزائم الأمة. ولم يَرَ منه الناس إلا الخطابات الرنانة، وتمكين إسرائيل من احتلال مزيد من الأراضي والمقدسات،

وملاحقة الدعاة إلى الإسلام بحقد كبير.

مثل هذا الشخص ما كان يمكن أن يكون له شأن أو أن يحصل على ثقة الجماهير لولا الخطط المرسومة لصناعته كقائد، ولولا ضعف التفكير السياسي والتفكير بمسؤولية عند الناس وقادتهم من علماء وقادة. فقد كان جمال عبد الناصر ضابطاً مغموراً لا تجربة له ولا شأن، ولكن بسبب حقيقة أفكاره وانتمائه وميوله وأصوله الموثوقة من قبل الكفار، والثقة بأنه ينفذ مخططات الكفار ضد المسلمين وشعوبهم ولصالح الغرب واليهود بلا أي تردد، ويحقق لأمريكا سيطرتها ونفوذها، كان من المفيد جداً لأمريكا أن تصنع منه زعيماً يثق به الناس وينقادون له. فيرفع عقيرته في قضايا خيانية، وتصفق له الشعوب التي تتبعه فيها إلى هلاكها برضىً وسرور، ويقوم الناس أنفسهم بتصفية خصومه أو إسكاتهم، ولو كان هؤلاء الخصوم أهلهم المخلصين وقادتهم الصادقين. لذلك اقتضى الأمر أن يُصنع جمال عبد الناصر للناس كزعيم محبوب وموثوق. فكان أن فبرك له الأمريكان محاولةً فاشلةً لاغتياله، وهي ما عرف باسم حادثة المنشية في تشرين الأول ١٩٥٤، ثم انطلق بعدها في خداع الناس واستعمالهم ضد قضاياهم ومقدساتهم ولصالح أعدائهم. يقول محمد حسنين هيكل في كتابه: "عبد الناصر والعالم" في الصفحات ٣٨ و ٣٩: "حقق محمد نجيب شعبيةً كبرى واغترف كل المجد بينما ظل عبد الناصر خلف الصفوف يفكر دائماً، ويبدو دائماً للناس رجلاً عبوساً، وهكذا أسيء فهمه. إنه لمن الغريب أن الرجل الذي أصبح موضع حب كل إنسان بدأ موضع سوء فهم من الناس. وكان الموضوع الذي يتردد في خطبه في ذلك الحين:

"لن أستجدي تصفيقاً... ولن أستجدي هتافاً"، فكان في خطبه يجرح الجميع. غير أن نظرة الناس بدأت تتغير عندما رأوا محمد نجيب يغازل السياسيين القدامى. أما التغيير الحقيقي، فقد جاء كما هي العادة في حياة عبد الناصر، بحادثة درامية واحدة. فقد وُجِّهت إليه ست طلقات نارية بينما كان يخطب في الإسكندرية، فلم يهتز له روع، إنما ظل واقفاً في مكانه يتحدى القاتل بينما الرصاصات تدوِّي وهي تخطئه. وبينما كانت الرصاصات تدوِّي راح يناشد الناس قائلاً: "إخواني المواطنين، فليبقَ كل منكم في مكانه، إني حي لم أمت، ولو مت فإن كلا منكم جمال عبد الناصر ولن تسقط الراية". ويتابع محمد حسنين هيكل فيقول: "كان عملاً يدل على شجاعةٍ خارقة، كما كان بلا شك نقطة تحول في حياته، فمنذ ذلك الحين بدأ الناس يقابلونه بحرارة. وبهذا التأييد الشعبي الجارف دخل عبد الناصر المرحلة الثانية من حياته، مرحلة السبع الطليق. فبدأ صراعه مع البريطانيين حول الجلاء عن منطقة القناة، ثم رفضَه حلف بغداد... ثم وقع غزو السويس وكسب عبد الناصر انتصاراً سياسياً دولياً ساحقاً. فقد دمر آخر قواعد الاستعمار في مصر، وأصبح زعيم العرب بلا منازع وواحداً من القادة السياسيين العالمِيين". ثم قال هيكل: "فقد هب الشعب العربي بأسره يدافع عنه ويناصره، فنسفت خطوط النفط وانقطع النفط عن أوروبا الغربية، ودخل العالم العربي في مرحلة تحوُّل كان عبد الناصر رمزاً وتجسيداً له، وبلغت شعبيته مبلغاً زجَّه عفوياً في السياسات الداخلية لكل قطر عربي، فقام حزب ناصري في كل قطر عربي، وكان هذا مما سبب الغيرة وولَّد الانشقاق".

وهكذا صنعت أمريكا لشعوب المنطقة جمال عبد الناصر زعيما يقودهم لتحارب بهم أعداءها وتطرد خصومها، وليستهلكوا طاقاتهم ويهزموا أنفسهم ويضيعوا قضاياهم بأيديهم، كما صنع الإنجليز قبلهم مصطفى كمال أتاتورك زعيماً للناس يقودهم إلى هزيمة أمتهم والقضاء على دولتهم وتضييع رسالتهم بأيديهم.

وقال عباس حسن السيسي في كتابه "عبد الناصر وحادث المنشية باسكندرية ٢٦ اكتوبر ١٩٥٤": "يقول مايلز كوبلاند في كتابة الشهير "لعبة الأمم": "إن عبد الناصر نفسه لم يكن ذا ماضٍ عسكريٍ عريق حتى يشكل عنصر دعاية، ولم يكن حتى ليدرك العقبات التي تعترض اتصاله بالشعب مباشرة، فقد اعترف عبد الناصر يومها بأنه جاهل بأصول التقرب إلى الجماهير المصرية". ثم يتابع صاحب الكتاب المذكور: "ومن هنا... وعلى ضوء الطريق إلى حكم مصر... كان لابد من نهر للدماء يعبر بها عبد الناصر بشراعه الإعلامية المخططة ليتسلط على حكم مصر". ويضيف أنه تم اجتماع "ضم بول لينيارجر مسؤول الدعاية السوداء والذي قام من قبل بتخطيط إعلامي لتصعيد ونجومية عبد الناصر... وكان بول لينيارجر من أصلٍ صينيٍّ عاش بالصين حتى ثورة ماو ثم رحل إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعمل بها. وعندما حضر إلى القاهرة في مارس ١٩٥٤... كان ذلك بغرض الدراسة والتحليل والتحضير والتجهيز لعبد الناصر حتى يمكنه من السيطرة على مشاعر الشعب المصري وكسب عاطفته في أقصر وقت ممكن وإحاطته بما لم يحط به محمد نجيب. وكان اقتراح بول لينيارجر في هذا الاجتماع افتعال

محاولة للاعتداء على حياة عبد الناصر تكون سليمة التدبير، وتقوم بها عناصر مختارة في هذا الصدد، فتكون عملية إطلاق الرصاص على عبد الناصر عملية تمثيلية صورية محكمة وذات تأمين كاف لتنفيذها. وهذا الحدث في حد ذاته سيجذب مشاعر الشعب المصري نحوه لما يراه فيه من مظاهر الشجاعة أثناء ثباته في هذا الموقف وعدم خوفه أو اهتزازه، وأنه قد نجا منه بأعجوبة تثير المشاعر، كما ستقوم أجهزة الإعلام والرأي العام بصياغة الحدث بصورة مؤثرة في مشاعر الشعب لجذب عواطفه وتعاطفه نحو عبد الناصر... وفي ذات الوقت ينزاح محمد نجيب من مركز الصدارة حيث تتاح الفرصة المواتية لعبد الناصر أن يفعل ما يريد في أثناء هذه النشوة الشعبية التي تنجرف نحوه عقب هذا الحادث... وبعد ثلاثة شهور من هذا اللقاء... وذلك الحديث تمت عملية المنشية تماما كما وضع خطتها بول لينبارجر بإحكام وتم فيها تنحية محمد نجيب، وتم فيها أيضا القبض على الجناة... وإدانة الإخوان المسلمين وتمت تصفيتهم في أكبر حدث لتصفية دموية ونفسية رهيبة تقشعر لها أبدان الذين قد عايشوها... أو يعرفونها....أو عاشوها كحقائق. وعلى أثر ذلك ... تسلق... بل قفز عبد الناصر... إلى حكم مصر. وفي تقرير أمريكي سري مؤرخ في ٢٤ نوفمبر ١٩٥٤ أي بعد هذا الحدث بشهر... أن هذا سوف يستغرق شهرين تقريبا وبذلك يكون (عبد الناصر) قد شرع في تقوية مركزه ومجلس قيادة الثورة بصورة مطردة ومستمرة إلى فترة مستقبلية معقولة... ولكن عبد الناصر خيب ظنهم وتوقعهم، حيث حقق كل هذا في أقل من شهرين ... وعاود الاتصال بإسرائيل في ديسمبر من نفس

العام".

وهنا أيضاً نقول إن الذي مكَّن جمال عبد الناصر والذين خططوا لهذه المؤامرة من النجاح هو ضعف التفكير السياسي، وتصديق الكلام والوعود من غير إثبات أو برهان. والأنكى من ذلك أن أعمال عبد الناصر وخطاباته وقراراته كانت واضحة في أنها ضد الأمة وضد الإسلام، وأنها على النقيض من أقواله التي يخدع بها الناس ويجذبهم، فقد حارب الإسلام ودعاته حرباً شديدة، وتدخل في شؤون الأزهر ومناهجه وقلصها، ودعا إلى الاشتراكية وهي كفر، وإلى القومية وروَّج لها بشكل كبير وهي محرَّمة في الإسلام بشكل قطعي، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾ سورة الحجرات. ومما جاء في الحديث الذي رواه الشيخان البخاري ومسلم عن هذه العصبيات أنه ﷺ قال: "مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ ... دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ". وقال أيضاً: "لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى"، صحيحٌ أخرجه أحمد والبيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية. وكذلك ملأ عبد الناصر الدنيا ضجيجاً وصراخاً فارغاً بالوحدة العربية وقتال إسرائيل وطرد الاستعمار، بينما لم تكن أعماله إلا على النقيض من ذلك. فلماذا ينخدع الناس بهؤلاء الأعداء إلى هذا الحد؟

والجواب: السبب هو ضعف التفكير السياسي وعدم إدراك الحقائق أو التنبه لأهميتها حتى في القضايا المصيرية، وهو اتباع المزاعم بشكل عاطفي أي بعيداً عن التفكير. فالمشكلة هي ضعف التفكير السياسي؛ أي ضعف التفكير العملي المُنتج حتى بشأن المقدسات والقضايا

المصيرية، وانتشار هذا الضعف في الأمة بشكلٍ طاغٍ، بحيث تجاوز العامة إلى القادة وذوي الرأي والمتكلمين والعلماء، وهذا ما يزيد الطين بِلّةً. ولو لم تكن المشكلة في هؤلاء أصلاً، لما برزت في الشعوب، ولما كان لها هذه النتائج.

٣. أمثلة أخرى

وما زال الامر يتكرر للأسف، والكفار يخدعون المسلمين ويمكرون بهم، فيصنعون لهم قادةً يثقون بهم وينتظرون منهم ان يحققوا لهم ما يتوقون إليه من عزة وكرامة، وأن يقودوهم إلى وحدتهم وحريتهم وتحرير مقدساتهم. وما زال هؤلاء يقودون المسلمين إلى مزيد من الضعف والمهانة والتبعية، ومن التكبيل بقيود الغرب في السياسة والفكر والاقتصاد. ثم يقيِّد المسلمون بعد ذلك أنفسهم بأنفسهم بما يحقِّق مصالح أعدائهم. ولطالما صفق المسلمون لأعدائهم وأعداء دينهم كجمال عبد الناصر وحافظ أسد وبشار أسد وياسر عرفات ومعمر القذافي وملوك آل سعود وحكام إيران... وما ذلك إلا لانعدام التفكير السياسي أو ضعفه، وتصديق الدعاوى والمزاعم الكاذبة، والانقياد العاطفي للرويبضة، بحيث لا يكتشفون أنَّ الذين وثقوا بهم كانوا أعداءَ لهم مدسوسين عليهم إلا بعد عقود، حيث يتبيَّن لهم أنهم سلّموا قيادهم لعدوِّهم الذي ساقهم إلى مذبحهم كما تُساق قطعان الأنعام، وسخرهم لتكريس هيمنة الغرب الكافر على البلاد، ونشرَ الرذيلة والفساد وانتهك المقدسات وأهان العباد وفرط بالبلاد، وكل ذلك تحت شعارات العز والمجد وتحرير فلسطين ووحدة الأمة

والانتعاش الاقتصادي ورفع مستوى البلاد وثرثرات من هذا القبيل.

فعلى سبيل المثال: المنظمات والفصائل التي رفعت صوتها بالمقاومة وتحرير فلسطين وما زالت ترفعه، وهي لا تعدو أن تكون مجموعات أفراد في مخيمات أو مناطق معزولة، يغذيها ويسلحها حكام عملاء يتاجرون بالقضايا ويتنازلون عن المقدسات. فلو فكر الناس في كيفية تحرير هذه المنظمات للبلاد، أو في إمكانية تحقيق الأهداف التي تعلنها، لأدركوا من بداية البداية أن هدفها الذي تعلنه غير قابل للتحقيق، وأنها صُنعت ودُعمت للتغطية على خيانات الحكام، ولتنفيس الشعوب وتيئيسها. ولو كان هؤلاء الداعمون، كسوريا وإيران مثلاً، أو كتركيا وبعض دول الخليج، أوغيرهم، لو كانوا جادين وصادقين لقاموا هم وحاربوا بجيوشهم وإمكانيات دولهم، بدل أن يخادعوا الشعوب بأفراد هنا أو مجموعات هناك بالكاد تملك ثمن بندقية، ولا يمكنهم أن يحققوا شيئاً من الأهداف التي يزعمونها. لو حصل هذا التفكير بصدق ومسؤولية، وبيَّنه العارفون والمفكرون الحريصون على الأمة وقضاياها واتَّبع الناس ما تقوله الحقائق وما يقرِّره النظر السليم، لَمَا كان لمثل هذه الخيانات أن تمر، ولما ازدادت الأمة وشعوبها ضعفاً وتبعيةً.

لذلك كان طبيعياً أن نرى منظمة التحرير الفلسطينية وفصائلها يرفعون شعارات الثورة والنصر والتحرير، وأن ينخدع بها أهل فلسطين وسائر شعوب المسلمين، وأن يقعوا في مصيدة الثقة بها بكلام عن تحرير فلسطين لا يمكن لها أن تنفذه، وبمواقف ظاهرها المبدئية والرجولة وحقيقتها المكر والخداع، كشعار لا مفاوضات ولا صلح ولا اعتراف. ثم

يتفاجأون بالخيانات ولكن بعد فوات الأوان، أي بعد الوقوع في هزيمة جديدة أو نكبةٍ أشدّ، فيُسقطَ في أيديهم ويُقِرُّون بالفشل، ويُسَلِّمون بالهزيمة السابقة. ثم تراهم يتندَّرون على عجزهم ويأسهم، ويخرج منهم من يجادل بل يناضل لتبرير الرضا بالهزيمة، وبأن هذا من الحكمة والواقعية. وهاهي المنظمة المذكورة فاوضت وصالحت وسلَّمت فلسطين لليهود واستسلمت واعترفت بإسرائيل، وتبعتها فصائلها في ذلك. بل هاهي تفرض على أهل فلسطين الاستسلام والتنازل عن المقدسات والدماء، وتلاحق من يرفض هذه الخيانات ويواجه ترويض الناس عليها. وتلك – أيضاً – الحركات التي قامت بإسم الإسلام والجهاد بعد بروز الصحوة الإسلامية وبعد انكشاف خيانة منظمة التحرير الفلسطينية، يصدُق عليها ما صدق على المنظمة، وهاهي تسير على خطاها في الخيانة والتضليل والتآمر والتبرير حذو القذة بالقذة.

وعلى سبيل المثال أيضاً: هذه إيران تخادع منذ عدة عقود بالزحف نحو القدس وبإزالة إسرائيل! ولو كانت بالفعل تزحف زحفاً لوصلت. ولكنه الكذب الفاضح ومخاطبة العواطف، والتطبيل لمقاومات لا تستطيع تحقيق الهدف المنشود ولا تصلح لذلك أصلاً، وإنما تصلح لخداع الذين ارتاضوا على عدم التفكير، فتوقعهم في مصيدة الهزيمة واليأس. لذلك فإن حزب الله وشعاراته وخطاباته هي مما تخادع به إيران الشعوب، وكذلك إعلامُ التطبيل والتزمير والتفاخرُ بمقاومة إسرائيل ومعاندةِ أمريكا التي لطالما سمّتها الشيطان الأكبر، وبممانعة سياساتها في الهيمنة. ولو وُضِعت هذه الإدعاءات موضع البحث والمراقبة والتفكير لانكشف الخداع والنفاق من

أول يوم، بدل أن ينتظرَ الناس عقوداً ليكتشفوا أن الشيطان الأكبر هو في الحقيقةِ وليٌّ حميم. وأن تلك الشعارات والاحتفالات ضجيجٌ وصخب لأجل المزيد من تعطيل العقول، واستدرار العواطف والانقياد الأعمى.

إيران تدعم حزب الله مالياً وعسكرياً وسياسياً ومعنوياً وسوريا تدعمه أيضاً، وكلهم يعلن تحدي العالم في ذلك، وحزب الله يهدد إسرائيل بالقضاء عليها، ويتحدى في ذلك أمريكا بكل جبروتها، وتتكرر خطابات حزب الله التي تسفِّه قرارات المجتمع الدولي والرأي العام الدولي وما شاكل ذلك، ويخوض حروباً مع إسرائيل ربيبة أمريكا وعالم الاستعمار وينتصر عليها، فإذا كان هذا كله صحيحاً وحقيقته كظاهره أفلا يدفع إلى التساؤل: لماذا إذن لا تقوم إيران بالزحف الذي ترفع عقيرتها به منذ ما يقارب أربعة عقود؟ ولقد سمعنا من حكام إيران؛ مرشِدين ورؤساء، ومن قيادات كبار الضباط والعسكريين؛ من حرس ثوري وجيش، تهديداتٍ بالقضاء على إسرائيل، فلماذا لا تنفِّذ؟ لماذا نسمعُ من إيران جعجعةً ولا نرى طِحناً، وهي تعلن كل ساعة أن فلسطين هي قضيتها الأولى والمقدسة؟ سيقول المبررون إن المسألة فيها موازين قوى ومصالح وقرارات دولية. حسناً، إذا كان الأمر كذلك فعلاً، فما هو تفسير تلك التصريحات والتهديدات، وخطابات السخرية من القرارات الدولية، ومن الرأي العام الدولي، ومن موازين القوى؟ وكيف نفسِّر تفرُّج العالم على هزيمة إسرائيل وعلى قوافل الأسلحة المتدفقة من وعبر إيران وسوريا ولبنان إلى حزب الله؟ هل الأمر في أصله عمالة وخيانة من إيران وتابعها حزب الله ومن سوريا، أم أن الشيطان الأكبر وكل طواغيت العالم عجزوا أمام إيران وسوريا والمقاومة؟

وإذا كان الأمر كذلك، نضيف سؤالاً: لماذا لا تتحرك إذن سوريا (الصمود والتصدي والمقاومة وقلب العروبة النابض وسائر ألفاظ الدجل)، لماذا لا تتحرك لتحرير الجولان المحتل منذ ما يقرب من نصف قرن، بل نكتشف أنها تقوم بمفاوضات سرية مع إسرائيل، وعرّاب المفاوضات أردوغان؟ هذه الوقائع غيضٌ من فيض مما يَكشفُ أن حكام إيران وحكام سوريا وحزب الله كلـَّهم جزءٌ من مشروعٍ غربيٍّ لمصادرة وعي الأمة الإسلامية وصحوتها، ولتوظيف جهودها وطاقاتها في مشاريع ظاهرها تحرير البلاد والعباد وحقيقتها جعجعة وصخب لا يأتي بشيء إلا بتحطيم آمال الناس وتيئيسهم، وتكريس واقع الهيمنة الغربية، وربط مصالح أهل البلاد بوجود الغرب ومصالحه، وبالاستسلام للأمر الواقع، وجعل العدو هو الحَكَم في قضايا الناس.

وأكرر لأجل لفت النظر وكشف المنافقين والدجالين من أدعياء المقاومة وممتطي شعاراتها: لماذا لم تحرك سورياً ساكناً لقتال إسرائيل أو لتحرير الجولان خلال نصف قرن، بل حرست حدود إسرائيل بشكل دقيق وشامل؟ ولماذا لا تزحف إيران ولو شبراً واحداً باتجاه القدس، مع أنهم صدَّعوا الرؤوس وصمَّخوا الآذان وصرعوا العالم بما أطلقوا عليه اسم: "يوم القدس العالمي" وبشعارات مثل: "زحفاً زحفاً حتى القدس" و"حرباً حرباً حتى النصر"، لماذا؟ لقد كان تشغيل العقل والتفكير بمسؤولية عن الأمة وشعوبها وقضاياها كفيلاً بكشف مآلات هذه المزاعم والشعارات من أيامها الأولى، ولكنَّ انعدام التفكير السياسي أو ضعفه الشديد ساهم بالانقياد العاطفي، وبجعل الجماهير تنقاد كقطعان الأنعام، لتجد أن شعار "حرباً

حرباً حتى النصر" لا واقع له إلا على شعوب الأمة ومظلوميها في العراق وسوريا واليمن وأمثالها، ولا يمكن أن يكون أبداً على إسرائيل. وأن شعار "زحفاً زحفاً نحو القدس" هو تعبير عاطفي وتجاري، وأن هذا الزحف لا يمكن أن يكون نحو القدس، وإنما يكون نحو بيروت وحمص وحلب وأمثالها كصنعاء وغيرها. ولكي يستمر الخداع وتعطيل التفكير، تقتضي الأوضاع أن تمر الطريق إلى القدس من كل العواصم الإسلامية.

قد كان قليلٌ من التفكير كفيلاً بتوفير الكثير من الجهود والهزائم والدماء والمهانات. وبفضح الحكام والسياسيين والقيادات العميلة، وبكشف أن وظائفهم هي تمرير المؤامرات، وتنكيس الرايات والهامات، وتيئيس الشعوب وسحق الكرامات. وكان كفيلاً باقناع الجماهير بالسير في أعمال إسقاطهم والقضاء على مؤامراتهم بدل الانقياد لهم. فعلى سبيل المثال، بعد كل خطابات وشعارات جمال عبد الناصر ثم حافظ أسد وبشار أسد، وحكام إيران كالخميني ومحمود أحمدي نجاد وغيرهما، و"حزب الله" وزعيمه حسن نصر الله، بعد كل ذلك ماذا حرر كل هؤلاء من فلسطين أو ماذا فعلوا للقدس أو...؟ وهل فعل "حزب الله" ضد إسرائيل شيئاً سوى أنه نفَّذ لأمريكا القرار ٤٢٥ الذي أصدرته من الأمم المتحدة ورفضت إسرائيل تنفيذه. وهاهو المسمَّى حزب الله، منذ حرب تموز ٢٠٠٦ وحتى اليوم لم يخُض أيَّ حرب ضد إسرائيل، بل هو يحمي حدودَها، كما حماها من قبله حافظ وبشار. بل إنه استدار وأعطى ظهره لإسرائيل وذهب يحارب في سوريا؛ يحارب الناس الذين يتطلعون إلى الانعتاق من جزاريهم الظالمين وحماة إسرائيل، يحارب الذين احتضنوه أيّما احتضان

اقتناعاً منهم بقتال إسرائيل، ولأنهم يتطلعون فعلاً إلى القضاء على إسرائيل. نعم، إنها الحقيقة التي يؤكدها التفكير الموضوعي والجاد والنزيه: حزب الله جندي أمريكي على الأرض، وهي التي توجِّه بندقيته، وإيران هي الواسطة.

وإن الخطر الأشد هو أن يروج لهذا التضليل مخلصون ومخلصات انطلت عليهم الأكاذيب فانساقوا عاطفيا خلف أدعياء أول همهم منافع ومناصب ودراهم، يُدبِّجون الخطب والمقالات في الشأن العام، فينقاد لهم الناس بسطحية، كما حذَّر النبي ﷺ في حديث الرويبضة.

وإذا جاء هؤلاء من يفتح أعينهم وعقولهم على حقائق الواقع وأخطار الدجل السائد، ويذكرهم بما يجب عليهم من موقف وعمل، ينبري المنافقون إلى التشكيك والتحريض، وبث الإشاعات والأحقاد، مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤)﴾ سورة المنافقون. وبذلك يضللون الأمة وهم يتحدثون بلسانها، ويرفعون عقائرهم مدّعينَ الغضبَ لأجل قضاياها، جاعلين عناوينَ أكاذيبهم وسمومهم فلسطين والمقدسات والمقاومة، وطرد الاستعمار والوحدة والنهضة وما إلى ذلك. وهاهم اليوم يخادعون بقضايا فلسطين وغزة وسوريا، والإسلام والأمة، واللاجئين والمجازر، وحقوق الإنسان والأطفال وسائر القضايا الإنسانية، وفي مقدمة هؤلاء اليوم، بل المثال والنموذج المعاصر لهم هو رجب طيب أردوغان، الذي سنفصل الحديث عن دوره وأعماله فيما يلي من هذا البحث. وإنه لينطبق على

هؤلاء ما رواه البخاري عن حذيفة بن اليمان ﵁ عن النبي ﷺ أنهم "مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا"، وأنهم: "دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا" والعياذ بالله.

المثال المعاصر رجب طيب أردوغان: دوره ومخادعاته

لقد نفذ الغرب خططاً لصناعة زعماء تنقاد لهم الجماهير، وليقوموا بعد ذلك بأدوارهم في تضليل الشعوب وإذلالها وتيئيسها. ولا يزال الغرب ينفذ خططه نفسها، ولكن هذه المرة بعناوين وشعارات إسلامية. وقد كان من أكثر من نجح الغرب بصناعتهم لهذا الغرض رجب طيب أردوغان، الرئيس الحالي لتركيا منذ ٢٨ آب ٢٠١٤، والذي كان رئيس وزرائها منذ آذار ٢٠٠٣ حتى آب ٢٠١٤، وهو عضو حزب العدالة والتنمية، الحزب الحاكم في تركيا. وقد تم اختياره لهذا الدور لما له من ظاهر إسلامي، وبسبب بروز الصحوة الإسلامية والتوجه السياسي الإسلامي الذي صار له رأي عام ودور في قيادة الجماهير وتحريكها.

الصحوة الإسلامية تفرض تغيير نوعية الزعامات

وكما انخدعت الأمة مراراً ولعقود وعقود، بعملاء مدسوسين يصنعهم أعداؤها، ويظهرونهم كأبطال يحملون همّها وقضاياها، ويسابقون لرفع الشعارات في سبيلها، فما زال الغرب يقوم بالتخطيط الماكر نفسه، وما زالت الأمة الإسلامية وشعوبها تنخدع وتقع في المصائد والفخاخ عينها، وهذا خلافاً لما ينبغي أن يتصف به المؤمن من التيقظ والفطنة، والحذر من الغفلة وتكرار الخطأ، كما أمر النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه الشيخان وغيرهما: "لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ". والسبب هو هو؛ ضعف التفكير، وضجيج إعلام البطولات الكاذبة التي تضيع في صخبها وقرع طبولها الكلمةُ الطيبة ولا يُسمعُ صوت الحق.

فبعد بروز الصحوة الإسلامية، وتهافت الدعاوى البائدة كالاشتراكية والقومية والوطنية وما شاكلها، وتوجُّه الأمة نحو الحركات الإسلامية التي تنادي بتطبيق الشريعة وبالخلافة، لم تعد صناعة القادة والزعماء تنجح بنفس الأساليب والشعارات التي نجحت فيها سابقاً عندما صنعت زعامات كمصطفى كمال أتاتورك وجمال عبد الناصر وغيرهما، وإنما صارت تحتاج إلى شخصيات إسلامية. ولم تعد تلك الطروحات البائدة تجد قبولاً لدي الجماهير، وصار لا بد من استعمال شعارات وتعابير إسلامية، وتبنِّي قضايا إسلامية. وقد تنبَّه الغرب لهذا الأمر، ووظف لأجله خبراء وعملاء، وروَّج لهم ليقودوا الناس ويسيطروا على المجتمعات.

وليست هذه بالمهمة السهلة، فهي صعبة وطويلة الأمد، وتحتاج لتضافر جهود كثيرة، فهي صناعة قيادات ظاهرها إسلامي وحقيقتها غير ذلك. وعلى الرغم من شدة مكر الغرب ودقة تخطيطه، فهو لا يثق بالعميل أو يعتمده ما لم يكن موثوقاً لديه بشكل تام، أي ما لم يكن في حقيقته وباطنه عدواً للإسلام. قال ﷻ: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آَمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آَخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ... (٧٣)﴾. سورة آل عمران.

لذلك فَهُمْ لا يؤمنون لأحد في ذلك، ما لم يكن في حقيقته وقلبه معهم ولهم. والأصل عندهم منع وجود قادة وزعماء يدْعون إلى الإسلام كما هو، حتى ولو كانوا عملاء لهم. ويرفضون أن تكون شعبية هؤلاء وجماهيريتهم قائمة على أساس حقيقة الإسلام، وإنما يجب أن تكون على أساس الإسلام اسماً وليس حقيقةً، وعلى أساس تحريف مضمونه،

وبخاصةٍ في الحكم والسياسة والاقتصاد والعلاقات العامة. لذلك كان لا بد أن يكون هناك إسلامٌ آخر مختلفٌ عن الإسلام؛ لا بد أن يكون هناك إسلامٌ ديمقراطيٌ في الحكم والتشريع، ورأسماليٌ في الاقتصاد والملكية وطرقها، ويقوم على أساس الحريات العامة الغربية في حقوق الإنسان والمرأة. ولذلك أوجدوا للمسلمين عن طريق العملاء والمغفلين واليائسين ما أطلقوا عليه اسم الإسلام المعتدل أو الوسطي. وأكثروا من الكلام عن تحديث الإسلام وتجديده، وعن تجديد الفقه، وتجديد أصول الفقه، وتجديد الخطاب الديني. وانقلبت دعوة هؤلاء الذين لمَّعهم الغرب الكافر، من الدعوة إلى الإسلام إلى الدعوة إلى إسلام مُفرَّغٍ من الإسلام ومحشوٍّ بدلاً من أحكام الإسلام أفكارَ كفر. وأتى الغرب وعملاؤه بمفتين وخطباء يدْعون إلى المنكرات جِهاراً، وصار معنى الحل الإسلامي أو تطبيق الشريعة عند هؤلاء ليس وجوبَ تطبيق الإسلام وجعله شريعةً ودستوراً وقانوناً، وإنما أن لا يَحظرَ الدستورُ والقانون الإلتزام بالإسلام على المستوى الفردي، وذلك من باب المحافظة على حريات الأفراد. أي أنهم يدعون إلى الديمقراطية وفصل الدين عن الحياة، وإلى أن الحاكمية للشعب وليست لله. ثم يُطلق على هذا الكفر أنه إسلام، وينطلق المكرُ الكُبّار لتضليل المسلمين به.

وكيف يتم هذا؟ وهل تصدقه جماهير المسلمين؟ هل يقبلون أو ينخدعون بشخصيات عليها مسحةٌ ظاهريةٌ من الإسلام، وينطلي عليهم أنهم قادة إسلاميون حقاً، وأنهم يحملون همّ الأمة فعلاً، ويكافحون لتطبيق الإسلام واستعادة عز الأمة ومجدها وحقوقها ومقدساتها؟ وهم في الواقع يطبقون

الكفر، وليس لهم نصيب من الإسلام الذي يدّعونه إلا القشور التي تصلح فقط لتكون طُعماً على مصيدة، وذلك للإيقاع بالأمة وتنفيس صحوتها، ثم تيئيسها وقيادتها بل اقتيادها وسوقها إلى ذبحها أو استعبادها على عتبة الإسلام الوسطي والمعتدل، أو المرن والمتطور، أو المعاصر والحداثي، أو على عتبة المصالح والضرورات، والموازنات بين الخيانات!

إن أهمية كشف هؤلاء العملاء والأدعياء على قضايا الامة هي من أهمية هذه القضايا، أي أنها من أهمية مصير الأمة ووجودها. وإن مقارنة سريعة بين ما هي عليه الامة الإسلامية وشعوبها وبين ما يجب أن تكون عليه، لتؤكد أهمية هذا الكشف وخطر أدوار هؤلاء العملاء والأدعياء المدسوسين. وهذا بدوره يؤكد على أهمية التفكير السياسي، أي التفكير بقضايا الأمة لأجل حفظها وحفظ مصالحها. وإذا كان هذا التفكير شبه معدوم فهو بحكم المعدوم عملياً، ويصبح من أهم الواجبات التركيزُ على إيجاد هذا التفكير. ولذلك تعرض البحث – أعلاه – للأدوار التي قام بها أتاتورك وعبد الناصر وغيرهما، ولذلك أيضاً سنبحث – فيما يلي – الدور الذي يقوم به الرئيس التركي رجب طيب أردوغان.

لماذا اتهام أردوغان والتشكيك به؟

ورب قائل يقول: ولماذا نتهم أردوغان بالعمالة وبأنه مصنوع لضرب الإسلام وتسخير الأمة لأهداف أعدائها؟ لماذ لا نَعُدُّه قائداً إسلامياً مخلصاً وسياسياً بارعاً استطاع – رغم الظروف الاستثنائية – الوصولَ إلى الحكم، وخدمة الأمة الإسلامية في كثير من القضايا، وفي كثير من

المحافل الدولية والساحات السياسية، واستطاع أن يحفظ للأمة دينها وشريعتها وكرامتها إلى أقصى حد ممكن، وأن يحفظ مصالحها ويذبَّ عن قضاياها في العالم كفلسطين وسوريا وبورما وغيرها؟

والجواب: إنّ أهم ما نبتغيه من هذا البحث وندعو إليه، هو البحث الموضوعي عن الحقائق لإدراكها والتمسك بها واعتمادها، ومن ذلك إدراك واقع الحكام وحقيقة القادة والأحزاب، وأهداف الخطط والمشاريع السياسية، والتحالفات والصراعات. ونؤكد على اعتماد الحقائق في البحث، وليس الميول أو التعصب سواء مع أو ضد، ونسعى إلى تحقيق ذلك. وأن لا يكون هناك انقيادٌ أعمى، ولا عداءٌ أعمى، وخصوصاً في حمأة الضخ الإعلامي لسيول الأخبار والمعلومات الموجَّهة التي تستهدف طمس الحقائق المفيدة للأمة، وتشويه القادة الحقيقيين والمخلصين فيها، كما تستهدف الترويج للأباطيل وصناعةَ العملاءِ والأدعياءِ زعماءَ وقادةً وأبطالاً. ولقد أثبتت التجارب – قديماً وحديثاً – أن الانقياد الأعمى والمواقف العاطفية العمياء كانت كارثية في نتائجها وتداعياتها. إنَّ هذا التفكير هو أهم ما ندعو إليه ونتطلع إلى إيجاده، ونصبو إلى أن نراه متحققاً في الأمة، متحركاً في شوارعها ومنتدياتها ومجالسها، وأن نجعله سجية عند الأمة وشعوبها. وهو التفكير المسؤول في قضايا الحكم والسياسة ورعاية الشؤون، وفي قضايا كيفية العيش؛ أي أنظمة المعاملات والعلاقات، وليس فقط في العيش. وهو أيضاً التفكير في تحقيق المسؤولية عن العيش وكيفية العيش عند كل الناس، مسلمين وغير مسلمين، بغض النظر عن أي عرق أو لون أو دين. هذه هي رسالتنا

وإنها لهي الرِّسالة. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا(١٥٨)﴾ سورة الأعراف. وقال أيضاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ سورة الأنبياء.

والإسلام عقيدة عقلية ينبثق عنها نظام، طبَّقه النبي ﷺ والصحابة والتابعون من بعده، وطبَّقه المسلمون طيلة أكثر من ثلاثة عشر قرناً. ومدلول تطبيق الإسلام لا يخفى على المسلمين، فمن البديهي أنه ليس تطبيق الكفر، ولا تطبيق خليط من الإسلام والكفر مهما كان الكفر قليلاً. ومسؤولية الحاكم الذي يطبق الإسلام هي أن يطبقه على الذين يحكمهم، وليس أن يطبق غيره. وكذلك أن يحدد الأهداف ويرسم السياسات ويوظِّف القوى التي توسِّع سلطانه وتحفظ تطبيقه وسيادة شريعته، فتحفظ الدين والأعراض والدماء والمقدسات والكرامات، وتسعى لتوحيد الأمة ونشر الإسلام، وتحرير البلاد والعباد من رجس الكفر والكافرين، وهذه أعلى مقاصد الشريعة الإسلامية، وهي الأهداف العليا لحفظ المجتمع الإسلامي وصيانته. وقد أشار إليها كثير من العلماء بأنها مقاصدُ الشريعةِ الضروريةُ، وهي حفظ الدين والعقل والنفس والنسل والمال، ويعد من أعلى المقاصد الضرورية ويندرج فيها حفظُ الدولة ووحدة بلاد المسلمين، والجهاد وتطبيق الحدود وحفظ الكرامة الإنسانية ونوع الإنسان.

ذكرتُ هذه الأمور العامة أعلاه، وهي من علامات تطبيق الإسلام، لأنتقل إلى التفكير والنظر فيما يطبقه ويفعله رجب طيب أردوغان وحزبه منذ أن استلم الوزارة. ولْنَنْظُرْ بموضوعية: هل نرى فيما يطبقه أردوغان شيئاً من ذلك؟ أي من هذه العلامات المذكورة على تطبيق الإسلام، وهي

من الأحكام أو المقاصد الضرورية بل من أعلى الضروريات؟ هل رأينا في سياسات رجب طيب أردوغان عبر كل السنين التي حكم فيها استراتيجيةً أو خطة لتطبيق شيءٍ من ذلك؟ أو هل رأينا أو نرى – اليوم – أيَّ إشارة أو تقدمٍ على صعيد تطبيق أي شيء من ذلك؟ الجواب على كل ذلك وبلا تردد هو: كلا، لم نرَ شيئاً من ذلك. بل رأينا الحكم بالكفر والدعوة إلى العلمانية التي غرز أتاتورك أوتادها وأحكم تثبيتها بشدة، رأينا ذلك بارزاً في كل مناسبة، ورأيناه في أساس أو قلب كل تصريح. فرأينا أردوغان حريصاً كل الحرص على أن لا تقتلعها الصحوةُ الإسلامية المتصاعدة. ورأينا القوانين والتشريعات التي يسنـُّها أردوغان وحزبُه تُقدِّم الكفر بوقاحة، وتجمع بين الفواحش بشكل لم يسبق إليه أحد؛ كاستباحة الزنا والحديث عن حقوق الشاذين والشاذات وسائر الحريات الإباحية. وعلى صعيد المواقف السياسية مما يجري في بلاد المسلمين، لم يصدر عن أردوغان أيُّ موقف أو فعل يُغيث المسلمين أو يدل على أنهم بنظرهِ أمة واحدة، بل رأيناه يخذلهم ويتعاون مع ألد أعدائهم.

وهكذا فأردوغان يدعو إلى العلمانية ويطبقها، ومواقفه وسياساته وأعماله تتناقض بشكل واضح مع المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ومع المصالح العليا للإسلام والمسلمين إيجاداً وحِفظاً، أي من حيث إيجاد تطبيق الإسلام، ومن حيث المحافظة على ذلك. وهذا يخرجه من دائرة أو مجال العمل الإسلامي، ولا يدع مجالاً لأي تبريرٍ له. فهو كأي زعيمٍ أو مسؤولٍ سياسيٍ دخيلٍ على قضايا شعبه وأمته ويخدم أعداءهم. فهو كبشار أسد وعبد الفتاح السيسي وملك الأردن وأمثالهم... مع فارق أنه

أخطر منهم على الأمة، لأنه يمثل دور القائد والزعيم صاحب المشروع الإسلامي.

ومع ذلك كلِّه نرى تبريراً للمنكرات والفواحشِ التي يقترفها أردوغان، بل نرى سياساتٍ في ذلك مما يؤكد على أن الأمرَ مخططٌ له، بل هو استراتيجية أردوغانية غربية مرسومة لمواجهة الصحوة الإسلامية الصاعدة. وفيما يلي – بإذن الله تعالى – توثيق كل ما عُرِضَ آنفاً.

١- أردوغان يحكم بالكفر ويزيّن العلمانية

أما على صعيد الحكم فهو يحكم بالكفر وليس بالإسلام، والسيادة في تركيا بحسب الدستور ليست للشرع وإنما للناس أي للأهواء، وهذا تنحية للشرع. ففي حين يقول القرآن: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)﴾ سورة يوسف، ويقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦)﴾ سورة الأحزاب، نرى أن ما حكم به أردوغان طيلة سنيّ حكمه هو غير ما أمر به الله ﷻ. ونجد أنه ينادى صباح مساء بالعلمانية وبتنحية الحكم بالإسلام عن الحكم وكل شؤون الدولة. ولا تقتصر مناداته بالعلمانية على أحوال أو ظروف يمكن أن يُبَرِّرَ فيها المبررون أقواله، بل إن علمانيته ظاهرة في كل المناسبات والظروف، وليس ذلك في الحكم والدولة فقط، بل في قوانين حزب العدالة والتنمية وثقافته، وهذا مما لا يخفى.

أ- أردوغان وحزبه: لا مساس بالعلمانية في تركيا

بتاريخ ٢٥ أيار ٢٠١٦ صرح رئيس مجلس الأمة التركي إسماعيل كهرمان- في تمثيليةٍ مقصودة - بأن "الدستور المقبل لتركيا يجب أن يكون دينياً وأن العلمانية يجب أن لا تكون جزءاً منه". فكان هذا التصريح مبرراً لدهاقنة العلمانية لينتفضوا ضد الدين و(التخلف) و(الانتهازية الإسلامية). وكان هذا مبرراً أيضاً وغطاءاً ليصدر حزب العدالة والتنمية تأكيداته على علمانية تركيا وأنه لا يمكن المساس بالعلمانية في تركيا. وبنفس المعنى جاءت تصريحات أردوغان رئيس الجمهورية، وتصريحات رئيس وزرائه أحمد داود أوغلو. فقد علق أردوغان على تصريح كهرمان بقوله إن هذا التصريح: "لا يتعدى كونَه أمراً شخصياً وتعبيراً عن رأيه فقط، ولا يمثل توجّه حزب العدالة والتنمية"، وصرح بأن: "العلمانية ستبقى دائماً أحد أهم المبادئ التي قامت عليها الجمهورية التركية والتي يسعى حزب العدالة والتنمية إلى المحافظة عليها". ثم استشهد أردوغان بحديث له في مصر عقب ثورة ٢٥ كانون الثاني ٢٠١١ دعا فيه إلى العلمانية. وكذلك صرح رئيس الوزراء التركي أحمد داود أوغلو بأن "العلمانية هي التي تضمن حرية العقيدة والتفكير ووقوف الدولة على مسافة واحدة من جميع الجماعات الدينية" مضيفاً: "إن الحكومة تسعى إلى تفسير ليبرالي للعلمانية في مقابل العلمانية السلطوية". وهكذا تتَّضِح التمثيلية، فهي تبدأ بتصريح جماهيري جذاب يوحي بقصد تطبيق الإسلام، ثم تمر بجدال يسخن وينذر بحصول أضرار ومفاسد وبضياع مصالح، وهكذا تتم تهيئة الجمهور لِتقَبُّل النتيجة أو المشهد الذي تنتهي إليه التمثيلة، وهو استبعاد

الدين أكثر وتكريس العلمانية بل تقديسها، وعلى لسان أردوغان الزعيم (الإسلامي)، وأركان حزبه (الإسلامي) أيضاً.

ب- أردوغان يدعو إلى العلمانية ودستور علماني في مصر

وكذلك نجد أردوغان حريصاً على الترويج للعلمانية في بلدان المسلمين، فيطير إلى البلدان التي حصلت فيها ثورات أسقطت الأنظمة، وأرادت وضع دساتير جديدة، وظهرت فيها توجهات قوية عند الناس تريد تطبيق الإسلام، فيدور عليها ينصحها بالعلمانية. وقد ظهر في زياراته تلك أنه يلعب دور الزعيم الإسلامي الكبير، وصاحب النموذج الذي أطلق عليه إسم "النموذج التركي". أي أنه زعيم إسلامي متديِّن مع أنه علماني في أفكاره عن الحكم والدولة والعلاقات السياسية. وقد كان مُصِرّاً على إبراز أن الجمع بين الأمرين ممكن، وكأن هذا الأمر هو قضيته ورسالته للمسلمين. وهذا في الحقيقة مكر خطير، إذ يسلخ المسلمين عن دينهم وهم يظنون أنهم مسلمون. يجوب أردوغان الآفاق داعياً إلى العلمانية ومُصِرّاً على أنه لا تنافي أو تعارض بينها وبين الإسلام، أو بين أن يكون المرء مسلماً وأن يَحْكُمَ أو يُحْكم بنظام علماني ويمارسه.

في لقاء تلفزيوني في مصر ليلة ٢٠١١/٩/١٢ دعا أردوغان أهل مصر إلى صياغة الدستور المصري على أسس العلمانية، قال: "الآن في هذه الفترة الانتقالية في مصر وما بعدها أنا مؤمن بأن المصريين (سيقيّمون) موضوع الديمقراطية بشكل جيد، وسوف يرون أن الدول العلمانية لا تعني اللادينية. وإنما تعني احترام كل الأديان وإعطاء كل فرد الحرية في

ممارسة دينه". وأردف قائلا: "لذا على المصريين أن لا يقلقوا من هذا الأمر، وعلى المُناطِ بهم كتابة الدستور في مصر توضيح أن الدولة تقف على مسافة واحدة من كل الأديان، وتكفلُ لكل فرد ممارسة دينه". وقال: "العلمانية لا تعني أن يكون الأشخاص علمانيين فأنا مثلا لست علمانياً لكنني رئيس وزراء دولة علمانية"، وأوضح "أن ٩٩% من السكان في تركيا مسلمون وهناك مسيحيون ويهود وأقليات، لكن الدولة في تعاملها معهم تقف عند نفس النقطة، وهذا ما يقره الإسلام ويؤكده التاريخ الإسلامي". وكرر قائلا: "لا تقلقوا من الدولة العلمانية وأتمنى وجود دولة علمانية في مصر". ويستند هذا الكفر بالأصل إلى كتاب كتبه نجم الدين أربكان عام ١٩٧٥ باسم "مللي غورش"، أي "الرأي الوطني"، دافع فيه عن العلمانية والديمقراطية والجمهورية وعن مبادئ أتاتورك. وكان أتباعه يُحْرَجون عندما يُذَكَّرون بما ورد في هذا الكتاب فكانوا يقولون: "إن ذلك تقيةٌ وغطاءٌ وإنه ليس فكرنا".

ج- أردوغان يدعو إلى العلمانية ودستور علماني في تونس

وكذلك زار أردوغان تونس في ١٥ أيلول ٢٠١١، وكانت على موعد في ٢٣ تشرين الأول ٢٠١١ مع انتخاب جمعية تأسيسية لوضع دستور جديد للبلاد، فذهب يستعمل زعامته ويدعم العلمانية ودُعاتها ومرشحيها. فكانت له تصريحات في تونس منها: "إن الإسلام والديمقراطية لايناقضان بعضهما الآخر"، ومنها: "إن النظام السياسي الجديد في تونس سيُظهر أن الإسلام والديمقراطية يمكن أن يتعايشا معاً مثلما هو الحال في تركيا".

ومنها: "إن العلمانية يجب أن تضمن معاملة عادلة لجميع الناس من كل المعتقدات إضافة إلى الملحدين". وأضاف أنه: "لا يوجد ما يمنع المسلم من حكم دولة علمانية". وقال في مؤتمر صحافي مشترك مع رئيس الوزراء آنذاك باجي قائد السبسي: "الأمر الأكثر أهمية من كل ذلك والذي ستثبته تونس أن الإسلام والديمقراطية يمكنهما التعايش جنباً إلى جنب". وقال: "فيما يتعلق بموضوع العلمانية، إنها ليست علمانية على الطريقة الأنجلوسكسونية أو الغربية. الشخص ليس علمانياً... الدولة هي العلمانية... المسلم يمكن أن يحكم دولة علمانية بطريقة ناجحة".

هذه التصريحات من أردوغان في مصر وتونس، وبهذا الكمّ تدل على أن العلمانية هي قضيته ورسالته، وكأن عدم قبول المسلمين لها يهدِّد مشروعه السياسي. وهذا مما يستوقف الناظر ويدعو للبحث عن حقيقة أردوغان.

وأستطرد هنا لأشير إلى الشيخ راشد الغنوشي رئيس حركة النهضة التونسية، فهو كأردوغان في المجاهرة بالدعوة إلى العلمانية، والحرص على طمأنة الناس بأنها لا تتعارض مع الإسلام، والحرص كذلك على إبعاد الإسلام عن الحكم والدولة. وهو يسعي حثيثاً ليثبت جدارته وإخلاصه للعلمانية والديمقراطية والمصالح الغربية، ومن ذلك الحرب على الإسلام الذي يسميه الغرب إرهاباً. ويصرِّح أحياناً أنه سابق لأردوغان أو للنموذج التركي، وبأنه كان ملهِماً لأردوغان وحزبه، وبأنه صاحب النموذج الأنجع للبلاد العربية. ولذلك نراه لا يخجل أبداً في الدعوة والدعاية للعلمانية والديمقراطية، ولسأئر الأفكار الغربية في الحريات

العامة والحقوق والمرأة، وفي محاربة تطبيق الشريعة. وأقوال الغنوشي في هذا الأمر لا تحصى، من ذلك قوله في بداية العام ٢٠١١ بعد نجاح الثورة التونسية: "إن تونس ستثبت للعالم أجمع أنه يمكن الجمع بين الإسلام والديمقراطية، وهو أمر نجحت فيه تركيا بكل اقتدار، رغم أنها بلد تبلغ نسبة المسلمين فيه ٩٩ بالمائة". ومن أقواله: "إن حزب العدالة والتنمية التركي استلهم مبادئه من أفكارنا الإصلاحية من أجل بناء نموذج حقق النجاح، ونحن أيضا استخلصنا الدروس من هذه التجربة، ولكن كل بلد عليه أن يحافظ على خصوصياته".

د- دعوة إلى التفكير الجاد والحكم الموضوعي

معلومٌ أن العلمانية هي فصل الدين عن الحياة والدولة، والحرص على استبعاده من الحكم والأنظمة والقوانين. وهي تعني أنه لا دخل لله ﷻ في قوانين الدولة والمجتمع والعلاقات أبداً، فلا حكم له. ونصوص الشرع كثيرة وقاطعة بأن الحكم يجب أن يكون لله وحده، وتنفي الإيمان عمن يرفض الحكم بالإسلام والتحاكم إليه، منها مثلاً: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)﴾ سورة يوسف. ومنها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)﴾ سورة النساء. ومنها: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ سورة النساء. ومنها: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ

بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)﴾ سورة المائدة. وعلى ذلك فالعلمانية كفرٌ ولا جدال، ومع ذلك يصر أردوغان عليها وعلى سائر الأفكار التي تنبني عليها أو تتفرع عنها، كالديمقراطية وأفكار الحريات العامة والحقوق التي تنص عليها أنظمة الكفر والطاغوت، كهيئة الأمم المتحدة والدول الغربية. ومع ذلك يبرر ذلك المبررون؟

ورب قائل يقول: إن هذا الذي يصدر عن أردوغان ليس حقيقياً، وإنما هو يفعل ذلك ليتمكن من السلطة أكثر، ثم ليتمكن بعد ذلك من تطبيق الإسلام، فينبغي إحسان الظن بالرجل وبحكومته!

والجواب: إن هذا النمط من الحوار أو التساؤل أو التبرير هو بعض ما يريد هذا البحث لفت النظر إليه ومعالجته. فأردوغان يحكم تركيا منذ حوالي أربعة عشر عاماً، ولم يصدر عنه أي فعل أو قول يدل على أنه ليس علمانيا على الحقيقة. بل كل أفعاله وأقواله ومواقفه تؤكد علمانيته، وهذا ما تم إثباته آنفاً. فكيف يروج المبرِّرون لما لا يقوم عليه دليل أو إثبات؟ ما هو مستند هذه الأحكام أو الظنون التبريرية؟ هل هي بعض أعمال أو صور لأردوغان تظهره يصلي أو يحمل المصحف أو يقرأ فيه؟ أم هي أقوال ومواقف يصرح بها في مناسبات معينة ثم لا يكون لها أي تطبيق أو فعل سوى الخداع واستدرار التعاطف والتأييد؟ في الحقيقة لا يوجد أي سبب لتبرير سياسات ومواقف أردوغان المناقضة للإسلام. والقرآن يُبيِّن لنا الموقف الصحيح الذي يجب أن نلتزمَه تجاه أصحاب

الادِّعاءات والمظاهر التي تنقضها الأفعال، وهو أن نَعُدَّهم هم الأعداء ونحذرهم. قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤)﴾ سورة المنافقون.

٢- تشريع المنكرات والترويض عليها

وعلى صعيد التشريع وسن القوانين، نجد الوقائع أكثر دلالة على الخداع والتضليل. فالإسلام مُسْتَبْعَد ولا دور له في التشريع، ولا يُتَّخذ مقياساً في أي موقف أو عمل سياسي. ومع ذلك يتغاضى الناس عن ذلك بسبب تعلقهم بأي بارقة أمل للخلاص مما هم فيه، فيصفقون لأردوغان الذي يمثل دورَ قائدِ مشروعٍ إسلامي، بينما هو يشرِّع قوانين تسمح بالزنا وتنص على أنه ليس جريمة، وتسمح باللواط وتعتبره حرية شخصية، وتصدر تراخيص لإيجاد شواطئ للعراة، ناهيك عن أنه يحكم بنظام كفر. وفيما يلي توثيق هذا الأمر.

أ- تشريع قانون أن الزنا ليس جريمة

ينفِّذ الحكام جرائمهم ثم يخرجون على الناس وكأنهم كانوا فِرَقَ الإسعاف والإغاثة، فيفرح الناس بالمصيبة التي حلَّت بهم ويحمدون الله على ذلك، وعلى ما حباهم من حكام أفذاذ أرسلهم الله إليهم لينقذوهم مما هو أدهى

وأمرٌ. من ذلك مثلاً أن يخرج أردوغان بتصريح بأنه يريد التقدم بمشروع قانون يمنع الزنا ويعده جريمة، فينال تأييد الجماهير التي تزداد بذلك قناعةً بأنه زعيم إسلامي يسعى لتطبيق الإسلام بالتدريج، وتتسابق الأبواق بالترويج له. ثم تبدأ ردات الفعل المُنْتَظَرة، فتنتفض الأبواق والأٌقلام التي تتبجح بالحريات العامة. وتتوالى مواقف الأحزاب العلمانية في تركيا برفض هذا الطرح ومواجهته، وكذلك التصريحات الأوروبية بأن تركيا تخالف معايير حقوق الإنسان، وهذا يهدد قبول عضويتها في الاتحاد الأوربي. ثم تخرج التظاهرات الرافضة للتخلف والتزمت، والتي تحذر من الخطر المحدق بالحرية الشخصية. ويمتلئ الفضاء بضخ إعلامي يصوِّر تركيا وكأنها تحت خطرٍ عظيم، وبأنها ستواجه خسارةً كبيرةً من حيث العلاقات مع أوروبا، ومن حيث التقدم الذي حققته على صعيد الانضمام للاتحاد الأوروبي. وتكون النتيجة تشريع قانون لا يقتصر فقط على أن الزنا ليس ممنوعاً في تركيا، بل وعلى أنه ليس جريمة. وهكذا تمضي الخدعة ويصيب الكفار بمكرهم عصفورين بحجر واحد، إذ يتم تكريس قانون كفر صريح، وفي الوقت نفسه يصفق الناس لأردوغان وحكومته ونوابه الذين شرَّعوه وسنُّوه، لأنهم درأوا بذلك مفاسد أعظم من مفاسده وحفظوا مصالح أكبر من مصلحة تحريم الزنا. وينتهي الأمر بأن ينجز أردوغان وحكومته وحزبه مزيداً من قوانين الكفر والإباحية.

هذه الخطيئة ليست مجرد إثم، بل هي كفر. لأنها نقض لنص القرآن الذي يقضي بأن الزنا جريمة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ

فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)﴾ سورة الإسراء. وفيما يلي توثيق ماسبق بشأن قانون استباحة الزنا.

نشرت وسائل الإعلام مطلعَ أيلول ٢٠٠٤ نقلاً عن وزير العدل التركي "جميل تشيشك" أن الحكومة تريد تشريع قانونٍ يُجرِّم الزنا، وكان له في ذلك تصريحٌ موجهٌ إلى عواطف الناس قال فيه: "نعتقد أنه يتعين تجريم الزنا لأن المجتمع ينتظر ذلك...". ومما دلَّ على أن في الأمر تدبيراً مسبقاً مع المعارضة أنهم لم يسعَوْا إلى تمرير هذا القانون وحده، وإنما جعلوه بنداً من حزمةٍ كاملة. وكان هذا الإعلان من وزير العدل كافيا ليثير المعارضة والأحزاب العلمانية وجماعات نسائية في تركيا، ثم لتحريك التظاهرات المعارضة لهذا البند والتي تتذرع بالحقوق والحريات العامة، ثم لتبدأ المساومات على أعين الجماهير. فقد ذكر موقع "العربية" بتاريخ ١٤ أيلول ٢٠٠٤ خبراً جاء فيه: "قال الحزب الحاكم وحزب المعارضة الرئيسي في تركيا اليوم الثلاثاء ١٤ أيلول ٢٠٠٤ أنهما اتفقا على تقديم تعديلات لقانون العقوبات في صورة اقتراح مشترك فيما يشير الى احتمال اسقاط الخطط المثيرة للجدال لتجريم الزنا. ويعارض حزب الشعب الجمهوري الذي يمثِّل يسار الوسط خطط الحكومة لتجريم الزنا. واثارت تلك الخطط غضب الليبراليين الاتراك والجماعات النسائية كما اثارت قلق الاتحاد الاوروبي الذي تأمل تركيا في الانضمام اليه. وقال وزير العدل جميل شيشك للصحفيين عقب مشاورات مع زعيم حزب الشعب الجمهوري دينيز بايكال ووزير الخارجية عبد الله جول: "توصلنا الى اتفاق لتقديم قانون يضمن الحقوق والحريات". وامتنع الثلاثة عن

الإدلاء باي تعليق مباشر بخصوص قضية الزنا". ومن الأخبار التي نَشرتها عدة صحف بشأن هذا الاقتراح: "في ظل استياء داخلي وتحذيرات أوروبية تراجعت الحكومة التركية عن خطة لتقديم اقتراح بتجريم الزنا ومعاقبة مرتكبيه بالسجن، حسبما ذكرت وكالة الانباء الفرنسية... وكان رئيس الوزراء التركي رجب طيب اردوغان قد صرح بأن مشروع القانون سيساعد في حماية المرأة من الانخداع... قال المسؤول الأوروبي: "لا أفهم كيف يجري دراسة إجراء كهذا في مثل هذا الوقت، إن ذلك لا يمكن أن يكون سوى مزحة..."".

وهكذا، وخلال ثلاثة أسابيع تُغلق الستارة على تمثيلية أردوغان و"حزب العدالة والتنمية" حول هذا القانون، ليتهيّأ الأمر لتشريع قانون مناقض تماماً لما خاطبوا به المسلمين. وقد نشرت وسائل إعلامية بتاريخ ١٥ أيلول ٢٠٠٤ منها موقع "سودانيز أون لاين" الخبر التالي: "أكد الحزب التركي الحاكم اليوم الاربعاء انه تخلى عن محاولة تجريم الزنا التي اغضبت الجماعات المدافعة عن حقوق المرأة والاتحاد الاوروبي الذي تطمح انقرة للانضمام اليه". ونشر موقع "البشير" بتاريخ ٢٦ أيلول ٢٠٠٤ خبراً جاء فيه: "صادق البرلمان التركي اليوم الأحد على تغييرات في قانون العقوبات، وفي مقدمتها إلغاء تجريم الزنا، في محاولةٍ لاسترضاء دول أوروبا لبدء محادثات الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي".

ب- تشريع الشذوذ الجنسي

والأمر نفسه يتم بشأن اللواط، حيث يتم التخطيط للمعركة أو التمثيلية،

ويخرج أردوغان بتصريح أو موقف يوحي به بأنه يريد تطبيق الشريعة، ويكسب بذلك تعاطف الناس. ويجعل هذا الموقفَ رصيداً له يمتص به قبح موقفه الرسمي الذي سيعلنه فيما بعد ويشرّعه بالقانون ويروض الناس عليه. وتروج الأبواق له ولتديُّنه ولحكمته في تطبيق الإسلام بالتدريج، فتزداد شعبيته وتكبر زعامته. ثم يأتي دور ردات الفعل من الأحزاب العلمانية في تركيا ومن دول أوروبية، فيتجرأ الشاذون والشاذات على الظهور المخطَّط له وعلى التظاهر، ويظهر أردوغان بصورة المُحرَج والمضطر للمحافظة على المصالح العامة لتركيا، فيخرج بتصريحاته الرسمية بأن المثليين لهم حقوق كغيرهم. ثم تنتهي التمثيلية بتشريع الشذوذ علنا وبمباركة من أردوغان وحزبه، وكذلك من شخصيات وحركات تزعم أنها إسلامية! وإذا جاء من يكشف عِظَمَ حرمة هذه المواقف وشناعتها تتوالى التبريرات بالضرورات وجلب المصالح ودرء المفاسد. وهكذا يتم تشريع هذه المنكرات والفواحش بالتدريج، ويخرج علينا من يخرج ليقول: مهلا! إن تطبيق الإسلام ليس سهلاً، وبخاصة أن أردوغان استلم دولةً علمانية معاديةً للإسلام، ومهلا! إن الأمر يحتاج للتدرّج. ولقد صدَقوا فعلاً، فما يفعله أردوغان واقعه تدرُّج، ولكنه تدرُّج بتشريع المنكرات، وبترويض الناس والأجيال على تقبُّل الأفكار الشاذة واستساغتها. وأما القول بأن أردوغان استلم دولة معادية للإسلام فصحيح. ولكن أليس المفروض أنه جاء إلى الحكم ليطبق الإسلام، وليس ليطبّق الكفر، فضلاً عن ترويض الناس على استساغة تطبيقه والرضى به. وكذلك فإن هذه التشريعات حول الزنا واللواط لم تكن موجودة قبله، بل في زمنه تمت

التهيئةُ لها وصدع أردوغان ومؤيدوه بها.

ولقد انتشرت أخبار هذه الوقائع المقزِّزة بشكل واسع، مع صور لأردوغان وزوجته يجالسون المثليين. وتوجد فيديوات وتصريحات علنية له أمام جموع الناس عن أن للمثليين حقوقهم التي يجب أن يحصلوا عليها. وتبين الوقائع بوضوح ازدواجية المواقف الأردوغانية، وتثبت بقوة أنه أُلعُبان خبير في أسلوب المخادعة. والحقيقة التي ينبغي الانتباه لها أن ما آل إليه المجتمع التركي إبَّان حكم أردوغان على صعيد استساغة منكرات شديدة النكارة، وتسويغ شذوذ اللواط والسحاق المسمى مثلية جنسية، كان فاضحاً وسريعاً بشكل مستغرب. وهذا مما يؤكد أن الوصول إلى هذا الواقع كان مقصوداً. وقد نشرت وسائل إعلامية كثيرة أخباراً تؤكد المذكور آنفاً، منها موقع "الوفد" الإلكتروني الذي نشر خبراً بتاريخ ٢١ حزيران ٢٠١٦ يستفزُّ الحليم بما جاء فيه من وقاحة فجة واستهزاء بالدين وشعائره، ومن قصدٍ لترويض الناس على تقبُّل انتهاك أحكام الإسلام وشعائره، ومن إشاعةٍ لهذه الفواحش. فقد جاء في الخبر: "... بالأمس سطَّر الرئيس التركي أردوغان سطراً جديداً في تاريخ إثارته للجدل، فعقب ساعات من تفريق قوات الشرطة التركية تجمعاً للمثليين جنسياً في إسطنبول بالقوة، عقد طيب (أردوغان) جلسة مع عددٍ من المتحولين جنسياً، يتناول معهم الإفطار على مائدة واحدة. جمعت المائدة كلاً من الرئيس التركي وزوجته، إلى جانب أشهر المتحولين جنسياً، من بينهم المغنية التي تحولت في الثمانينات من ذكر إلى أنثى، بولنت أرسوي، التي دعاها قبل ذلك إلى حفل إفطار خاص في قصره، الأمر الذي آثار

سخرية نشطاء مواقع التواصل الاجتماعي، عن كيفية وجود رئيس إسلامي يشجع المثلية ويحللها.



الرئيس التركي رجب طيب أردوغان وزوجته أمينة والفنانة بولنت أرسوي أثناء تناول الإفطار مع أشهر المتحولين جنسياً في تركيا.

والقى أردوغان كلمة له أثناء الحفل هنأ فيها المدعوين برمضان قائلًا: "إن الفنانين والرياضيين المثليين يمثلون ما يسمى بالقوة الناعمة لبلادنا، ونثمن الدبلوماسية الثقافية ولديها فاعلية ليست بأقل من تلك السياسية، وأتمنى لكم مواصلة تمثيل وطننا على الساحة الدولية بشرف". ولم يكن هذا الموقف الوحيد الذي يُظهر فيه الرئيس التركي دعمه للمثليين جنسياً، فشهدت فترة حكمه التي بدأت في ٢٠١٤، تحولًا جذرياً في حياة المتحولين جنسياً على الأراضي التركية، حيث تحتل تركيا المرتبة الثانية، بعد ألبانيا في الإقرار بحقوق المثليين. وعلى صعيد الأعداد، فقد وصل عدد المتحولين جنسيًا في أنقرة (أي في تركيا) إلى نحو ٣ مليون مثليّ،

بالرغم من أن تركيا تعتبر دولة إسلامية يحكمها رئيس مسلم، ولدى حزب العدالة والتنمية ذي التوجه الإسلامي، دورٌ فعالٌ في المشهد السياسي والبرلماني. ولم يكن دعم أردوغان للمثليين هو مجرد اتهامات موجهة له، ولكن هناك اعتراف خرج منه قبل ذلك، من خلال مقطع فيديو تداوله نشطاء مواقع التواصل الاجتماعي في ١٣ أغسطس ٢٠١٤، يعترف فيه أردوغان بدعمه للمثليين جنسياً، ويدعوهم للمشاركة في الحياه العادية. وفي عهد أردوغان، استطاع المثليون جنسياً تنظيم مسيرات للمطالبة بحقوقهم جهرة في شوراع أنقرة، وهو ما كان ممنوعاً قبل ذلك بسبب الخلفية الإسلامية للجمهورية التركية. في يونيو ٢٠١٤، استطاعت منظمة "LGBT" المناصرة لحقوق المثليين حول العالم، تنظيم أضخم مسابقة لاختيار ملكة جمال المثليين جنسياً، وتم فتح باب التقديم بحماية من السلطات التركية... كما دشنت المنظمة أسبوعاً عُرف باسم "الحرية الجنسية" في مدينة إسطنبول، وشارك فيه آلاف من المتحولين جنسياً والمثليين الذين قدِموا من دول مختلفة... كما شهدت تركيا في نفس الشهر، تنظيم أضخم وأول عرض أزياء للمثليين جنسياً، لتذهب أمواله للضحايا المثليين الذين تعرضوا للعنف والكراهية.

وفي عهد أردوغان تم إصدار أول مجلة للمثليين جنسياً، خلال شهر أغسطس من العام نفسه، حيث صدرت بعنوان "جاي ماج" (وترجمته: مجلة اللوطيين) لرئيس تحريرها الصحفي "أمير أقجون"، وصدرت في أولى أعدادها تحت عنوان، "رويداً رويداً سنكسر، نحرق، كل الحواجز

والصعوبات"، في إشارة للحصول على حقوقهم. وخلال فترة حكمه، تم إعلان زواج عددٍ من المثليين في شوارع أنقرة...".



الإسلام الحداثي، مسيرة المثليين السنوية (مسيرة الإفتخار) إسطنبول، حزيران ٢٠١١.



رابط الفيديو: http://bit.ly/hcaszDy

إن دراسة هذه الوقائع بمسؤولية وعمق تؤكد على حقيقة أردوغان والدور الذي يلعبه، كما تؤكد على أن التدرج الذي يزعمه المبررون هو تدرج فعلاً، ولكنه بعكس ما يقولونه، إذ هو تدرج في ترويض المسلمين على تقبل الكفر والمنكرات والفواحش، بهدف القضاء على المشاعر والأحاسيس الإسلامية عند المسلمين. والجملة الواردة أعلاه في مجلة الشاذين التي صدرت لأول مرة في عهد أردوغان "رويداً رويداً سنكسر، نحرق، كل الحواجز والصعوبات"، تؤكد على هذا المعنى للتدرج المزعوم.

ج- الإذن بشواطئ ومسابح للعراة

والأمر نفسه يقال بشأن الترخيص بإيجاد شواطئ للعراة في تركيا، وعلى يد أردوغان. ولا حاجة للتفصيل في الامر بعد الذي سبق بيانه بخصوص استباحة الزنا واللواط. وأكتفي بخبر للتوثيق. فقد نشرت مواقع وصحف في ٢٥ نيسان ٢٠١٠ منها موقع "العربية" خبراً جاء فيه: "في خطوة جريئة وملفتة يفتتح الأسبوع المقبل في مدينة "ضاتشه" غرب تركيا على بحر إيجة أول شاطئ للعراة في البلاد، وسيكون المنتجع حكراً على السياح الأجانب... ويرى مراقبون أن افتتاح هذا الشاطئ في ظل حكومة رجب طيب أردوغان أمرٌ يطرح الكثير من علامات الاستفهام في وقت باتت تتجه فيه تلك الحكومة ذات الجذور الإسلامية إلى العالم الإسلامي بشكل كبير على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية. تجدر الإشارة إلى أن قطاع السياحة مورد رئيسي للاقتصاد التركي...".

٣- العلاقات الدولية والمواقف السياسية

أما على صعيد العلاقات والمواقف السياسية لأردوغان كدوره مثلاً في حلف الناتو وفي أفغانستان، وفي تفاصيل العلاقات والمعاهدات مع إسرائيل، وفي تصفية النفوذ المناهض لأمريكا داخل تركيا، فلا يتسع هذا البحث لذلك ولا هو هدفه، وإنما المراد من هذا البحثِ النظرُ لمعرفة دور أردوغان وهدفه من خلال الوقائع والأدلة ببحث فكري موضوعي، وهذا ما سنزيده بحثاً وبياناً من خلال بعض الأمثلة.

أ- العلاقات التركية السورية قبل الثورة السورية

لطالما تعرض المسلمون في سوريا لظلم وقهر ومجازر على يد نظام الأسد، وحقدُ نظام آل الأسد على الإسلام والمسلمين ليس محل شك، وعلى الرغم من ذلك ومن أن محاربته للإسلام كانت جارية على قدمٍ وساق، فلم يكن لذلك أي تأثير على العلاقات بين أردوغان وبشار أسد، بل كانت العلاقات بينهما قوية وممتازة، ولعب أردوغان دور عرابٍ نشيطٍ في المفاوضات السورية الإسرائيلية سراً وعلناً. فأين في هذا مراعاة الإسلام وأحكامه فضلاً عن اتخاذها مقياساً للمواقف والأعمال؟ وأين السياسة الشرعية أو الهادفة لتطبيق الإسلام؟ وإذا كان هذا كله يُبرَّر بالمصالح والضرورات، فما هو الذي لا يُبَرَّر إذن؟ وأين تنتهي حدود انتهاك أحكام الإسلام؟

ب- مواقف أردوغان من أهل سوريا بعد الثورة السورية

يتعرض أهل سوريا لمجازر مُريعة أمام العالم وعلى شاشات الفضائيّات منذ بداية الثورة السورية ربيعَ العام ٢٠١١، وما زالت المجازر مستمرة ويحصل فيها من أعمال القتل والهدم والتعذيب ما يفوق الخيال. ونظام تركيا أردوغان هو أقرب وأقوى كيان قادر على التدخل المؤثر وقلع نظام بشار وإنقاذ مسلمي سوريا. ولو فعل ذلك لوجد مسلمي العالم يؤيدونه وينتفضون ضد الظلم والقهر الذي يتعرضون له وضد انتهاك مقدساتهم. ولكنه منذ ظهر على الساحة السياسية لا يأتي منه سوى الكلام الذي لا طائل منه ولا يسمن ولا يغني من جوع، كما قال القائل: أسمع جعجعةً ولا أرى طِحْناً. ومع ذلك لا تخجل أبواقه من تبرير صمته وخياناتِه وتفرُّجَه على المجازر كما يتفرج أي مسلم أعزلٍ عاجزٍ ومقهور، متغافلين عن أنه رئيس سلطة تنفيذية في دولة كبيرة وقوية، وذات جيشٍ ضخمٍ وقدراتٍ عسكريةٍ وعلميةٍ وتقنيةٍ فعَّالةٍ وقادرة. ولو تصرفت تصرف الأحرار والمستقلين لحظيت - كما أسلفت - بتأييد ودعم مئات ملايين المسلمين، بل ملياري مسلم متعطشٍ للحظة عز للإسلام وأهله، وينتظرون بشوق كبير القائد الذي سيقودهم إلى ذلك العز، لينطلقوا تحت قيادته مضحِّين بكل ما يستطيعون، وليهزوا الأرضَ والعالمَ خلف قائدهم إلى هذا العز. ولكن أهل سوريا وغيرهم من المسلمين الذين توقعوا من أردوغان أن يقف موقف قائد مسلم يتدخل لينقذهم، لم يجدوا منه سوى الجعجعة والخذلان، ورأوْا أنه خدعهم وتآمر عليهم وأسلمهم لأعدائهم، حيث أسلمهم لطائرات روسيا وأميركا ولصواريخ ونيران ومجازر إيران ونظام الأسد... فأين

الإسلام في مواقف أردوغان وسياساته، بل أين الإنسانية وأين الكرامة؟ وأين الإسلام عند المروجين لمخادعاته، وعند الأبواق التي تبرر خذلانه للمسلمين. أين ما يأمر به الإسلام حول وحدة المسلمين وأخوّتهم، وحول أنهم كالجسد الواحد؟ وماذا فعل لهم أردوغان وهم يستغيثون بالمسلمين منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم؟ وماذا نال الشعب السوري المظلوم من أردوغان سوى الجعجعة بأن بشار ظالم وأن الظلم لن يدوم! أو قوله: لن نسمح بحماة ثانية، ثم تحصل مائة حماة. أو كلامه المكرور في خطاباته أنه مع الشعب السوري المكلوم، والشعب السوري يعاني من القتل والهدم والتشريد كل يوم، بل كلَّ ساعة معاناة لا توصف، وأردوغان لا يحرك ساكناً لإنقاذه، بل منهم من يُقتل احياناً على حدود تركيا التي يلجأون إليها. ثم يجد اللاجئون أن خروجهم من تركيا إلى أوروبا، أي من بلاد المسلمين إلى بلاد الكفر والضياع، أفضل لهم من البقاء في تركيا، وهذا كله في عصر أردوغان!

ج- مواقف أردوغانية أخرى

إن فهم حقيقة أردوغان يكون من خلال مواقفه الحقيقية وليس فقط مزاعمه التي ليس لها أي واقع، وبذلك ندرك أن كلامه ضد بشار وطائراته وبراميله المتفجرة هو مجرد كلام يراد منه جذب تأييد الناس له، وذلك أننا لا نرى اي عمل له لمواجهة ذلك. فلا يُستغرب بعد ذلك أن يقول أردوغان كلاماً يرفض فيه أن تقصف روسيا الشعب السوري، ثم يفتح لها أجواء تركيا، ويتعاون معها في ذلك تحت عنوان محاربة الإرهاب. وقد

صار مكشوفاً أن "تنظيم الدولة" (داعش) ذريعة وشماعة لضرب الثورة السورية ولتشويه فكرة الدولة الإسلامية والخلافة ثم تبرير جرائم أعداء الإسلام. بل لا يُستغرب أن يتعاون أردوغان بعد ذلك مع كل أعداء الشعب السوري. ولا يخجل أو يشعر بمهانة وهو ينقض كل تصريحاته السابقة على مدى سنوات، فيعلن تعاونه مع بشار أسد وروسيا وكل أعداء سوريا ضد الثورة السورية على نظام الكفر والظلم والخيانة.

ومن الطبيعي جداً أن لا يُستغرب بعد ذلك أن يُكثر أردوغان من الكلام لصالح فلسطين وأهلها، وضد الحصار الإسرائيلي لغزة، بينما هو في الحقيقة يصالح اليهود ويفتح لهم اراضيه ويوقع معهم الإتفاقيات العلنية، ويتهيأ لإعلان ما هو أكثر من ذلك مما تتكشف عنه الأيام والأحداث تباعاً. ناهيك عن العلاقات السرية التي يقدم لهم فيها التسهيلات والمكاسب، ويعزِّز العلاقات السياسية والاقتصادية معهم. روى البخاري عن أبي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بن عمرو الأَنْصَارِيّ البَدْرِيّ ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "إِنَّ مِمَا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كِلامِ النُّبُوّةِ الأولى: إذا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ ما شِئْتَ".

د- مواقف أردوغان من أهل سوريا في ميزان الإسلام

بماذا تختلف هذه الأمثلة من مواقف أردوغان عن خطابات الرئيس الأمريكي أوباما مثلاً، وعن تصريحات وزيرة خارجيته السابقة هيلاري كلينتون، ومواقف وزير خارجيته أيضاً جون كيري، المليئة بالكذب والدجل بأن الكيماوي خط أحمر مثلاً، وبأن أيام بشار أسد أصبحت معدودة،

وبأنه عليه أن يرحل. إن مواقف أردوغان ومواقفهم هي نفسها، وكلها استهلاكية وخداع وكلام فارغ. ومثل ذلك تمثيله وتمثيلهم للمواقف الإنسانية.

هل يا تُرى لو حصل للمسلمين عُشر هذا الظلم زمن أبي بكر الصديق أو عمر بن الخطاب أو عثمان بن عفان أو عليٍّ بن أبي طالب ﷺ، أو سلاطين الخلافة العثمانية كسليمان القانوني مثلاً، هل كانوا سيقفون مواقف أردوغان نفسها؟ بالتأكيد لا. فكيف يبرر له المبررون ثم يصفق له المصفقون إذن! أين ذهب هؤلاء جميعاً بقول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢)﴾ سورة المؤمنون. وقوله أيضاً: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)﴾ سورة الأنبياء. وقوله أيضاً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ(١٠)﴾ سورة الحجرات. وبقول النبي ﷺ: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" رواه البخاري عن عبدالله بن عمر ﷺ. وبقوله أيضاً ﷺ: " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا" وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، "بِحَسْبِ امْرِئٍ مِن الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ" أخرجه مسلم وأحمد والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ. ولننظر بناءً على هذه النصوص الشرعية من القرآن الكريم ومن النبي ﷺ كم خذل أردوغان أهلَ سوريا وهم على حدوده! وكم أسلمهم لقاتليهم! وأين ذهبوا أيضاً بقوله ﷺ: "الْمُسْلِمُ لِلْمُسْلِمِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً" رواه

البخاري ومسلم عن أبي موسى ﷺ، وزاد البخاري: "وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ". وبقوله ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى" رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير ﷺ. فأين أردوغان وسياسة أردوغان ومواقف أردوغان من أقوال النبي ﷺ، يعني أين أردوغان في ذلك كله من الإسلام!

وليت أردوغان اكتفى بالجعجعة والخذلان لأهل سوريا، ولكنه ساهم في قتلهم بتقديم أراضي تركيا وأجوائها وقواعدها لطائرات الكفار من روس وأميركان وعملاء فيما سُمِّيَ بـ "التحالف الدولي"، إذ تخرج طائرات هؤلاء من قاعدة إنجيرلك في تركيا لتُرعِب أهل سوريا وتلقي بحممها عليهم وتقتلهم في حملات إبادة مستمرة، وهذا غيض من فيض. فهل هذا من الإسلام؟ وهل هذا يفعله مسلمٌ بَلْهَ أن يكون صاحب مشروعٍ إسلامي! وهل لأردوغان في هذا رخصة شرعية بضرورات أو غيرها! هذا لا يقول به مسلم تقيٌّ عنده حظٌّ من فقه. قال النبي ﷺ: "بِحَسْبِ امْرِئٍ مِن الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ" أخرجه مسلم وأحمد والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ. وهذا مما يشير بقوة إلى أن هذا الرجل صاحب دعاوى وشعارات يجعجع بها لينخدع به من ينخدع، إلى أن تتهيَّأ الظروف لتوجيه الضربة المخطَّط لها.

لذلك أكرر الدعوة إلى التساؤل والتفكير: لو كان هدف أردوغان تطبيق الإسلام، أو لو كان حريصاً على الالتزام بالشرع أو على دماء المسلمين،

فأين ذهب بهذه النصوص وأمثالها! وأين ذهب بها الذين يبررون له مخالفاته للإسلام ويخادعون بأنه يحمل مشروعاً إسلاميا للحكم؟

٤- أمثلة على تمثيليات أردوغان لخداع الناس

يتظاهر أردوغان في دافوس انه ضد اسرائيل فيصرخ ويمثِّل، وهو في الحقيقة ذاهبٌ للتباحث في التعاون مع الرئيس الإسرائيلي وغيره في امور اقتصادية. وهذا يدل على حجم تأثر الناس بالتضليل. تقوم الدنيا وتنتشر الأفراح لبطولاته في مواجهة إسرائيل ضد اعتداءاتها على أهل فلسطين بالقصف الهمجي والقتل الشنيع والتدمير الوحشي، ولفك الحصار عن غزة بإرسال سفن مساعدات هي ليست أكثر من عينات للإثارة الإعلامية، ولعمل دعاية له بالتطبيل والتزمير، وبدون أي فائدة أو أثر في حقن دماء المسلمين المسفوكة ولا في تحقيق عِزَّةٍ أو رد كرامة، ولا في إغاثة ملهوفين.

وإن أدنى نظر في هذه الأعمال يُري أنها أعمالٌ دعائيةٌ مخططٌ لها، كان يراد منها تلميع أدوغان وإظهاره كزعيم إسلامي قوي وناجح، والترويج من خلال ذلك لما أطلق عليه آنذاك النموذج التركي في الإسلام المعتدل، أو بالأحرى الإسلام الديمقراطي العلماني. وقد كان الترويج لما أطلقوا عليه اسم الإسلام المعتدل أوالحداثي وإيجاد شبكات له، استراتيجيةً اعتمدتها أمريكا بجدية حتى بدايات فترة أوباما الثانية ربيع عام ٢٠١٣. ولما كانت قضية فلسطين من أنجح القضايا وأجداها في الحصول على تأييد العرب والمسلمين، وفي صناعة الزعماء وتأييدهم وانتخابهم، وجدنا أردوغان

يتخذها من أهم وسائله للخداع وصناعة الزعامة. ومما يؤكد ذلك أن كل مواقفه كانت كلاماً من غير طائل، فهو لم يفعل سوى خداع الناس بتنفيس مشاعرهم، وتضييع جهودهم، ثم تكريس الواقع الذي تظاهر بأنه قام لتغييره. وسنبيِّن ذلك فيما يلي من خلال بعض تمثيلياته.

أ- تمثيلية أردوغان في مؤتمر دافوس

فلو أنعمنا النظر في ما جرى في مؤتمر دافوس في ٢٩ كانون الثاني عام ٢٠٠٩ لرأينا أنها تمثيلية قُصِدَ منها رفع مكانة أردوغان وزيادة شعبيته في تركيا وعند المسلمين وخصوصاً العرب. فالذي حصل أن أردوغان غضب من مجريات الحوار في الجلسة التي كان يحضرها الرئيس "الإسرائيلي" بيريز، لأن مدير الجلسة أعطى بيريز وقتاً أطول للحديث، وضيَّق عليه هو بالوقت. ومما تناوله الحديث آنذاك حصار "إسرائيل" لغزة. فهاجم أردوغان بيريز وخرج من الجلسة غاضباً ومُظهِراً موقفه المؤيد لفلسطين وغزة، والرافض لحصار غزة وقتل الأطفال. وقد ساهمت وسائل الإعلام بإظهار هذا الخلاف وغضب أردوغان ومغادرته الجلسة، فأدى الأمر إلى استقبال أردوغان عندما رجع إلى تركيا اسقبال الأبطال، وشارك في ذلك فلسطينيون وعرب. وبهذا فقد تحقق له رفع أسهمه والترويج الإعلامي الواسع له. ولكن: ما الذي فعله أردوغان عملياً لقضية فلسطين وأهلها؟

في الحقيقة لم يفعل شيئاً، فلا الحصار ارتفع، ولا تحسنت أوضاع المعيشة في غزة، ولا تحقق الإعمار، لا في ذلك الوقت ولا الآن. ولم

يتوقف القتل أو الاعتقالات أو تدنيس المقدسات ولا التهجير أو هدم البيوت. فما الذي حصل إذن؟ الذي حصل هو فقط تمثيلية أمام الصحافة والإعلام لزيادة تلميع أدوغان وزيادة شعبيته. فقد ضجت أجهزة الإعلام التركية والعربية ببطولة أردوغان، وخرجت صحف اليوم التالي ٣٠ كانون الثاني تصف أردوغان بأنه بطل دافوس. وعلى سبيل المثال نشر موقع "سويس إنفو" www.swissinfo.ch الخبر ومما جاء فيه: "حللتَ أهلاً بطلَ دافوس... الحشود الغفيرة التي استقبلت أردوغان دعت العالم إلى الإقتداء برئيس الوزراء التركي، ورددت شعاراتٍ داعمة للحقوق الفلسطينية ومعادية لإسرائيل". ومما جاء في الخبر أيضاً: "وكانت وكالة أنباء الأناضول التركية الحكومية أوردت أن بيريس اتصل هاتفياً برئيس الوزراء التركي ليقدم له اعتذاره عن الأسلوب الذي خاطبه به في منتدى دافوس، لكن الرئاسة "الإسرائيلية" نفت نفياً قاطعاً أن يكون بيريس قدم اعتذاراً لأردوغان. ونقلت وكالة الأنباء الفرنسية عن أليات فريخ، الناطقة بإسم الرئاسة "الإسرائيلية" قولها: "لا أساس لما نُقل عن اعتذار بيريس"، وإن لم ينف المسؤول الإسرائيلي اتصال بيريس بأردوغان لتوضيح الموقف، مؤكداً أن "الحادثة لن تؤثّر عن العلاقة بين البلديْن". وكذلك مما ذكرته الصحف والمواقع، منها مثلاً موقع www.dw.com: "... نفت الرئاسة "الإسرائيلية" نفياً قاطعاَ أن يكون الرئيس شيمون بيريز قدم اعتذارات. وقالت الناطقة باسم الرئاسة إيلين فريش لوكالة فرانس برس إن "هذا الادعاء لا أساس له بتاتاً". وأكدت في المقابل أن بيريز اتصل بأردوغان، مشيرة إلى أن "المكالمة كانت ودية بين المسوولَيْن". فهذه

الأخبار الرسمية والموثقة تثبت أن ما فعله أردوغان أمام الجمهور كان تمثيلية عارضةً وانتهت في وقتها، والمكالمة التي حصلت بعد ذلك بين بيريز وأردوغان كانت ودية ولم يكن فيها أيُّ اعتذار.

وبمعزل عن كل هذه الأخبار، فإن الحادثة تقتضي التساؤل: عندما غضب أردوغان وغادر الحوار أين كان؟ ألم يكن في جلسة ودية حوارية يحضرها هو وشمعون بيريز أمام الصحافة والإعلام والعالم؟ ألم تكن جرائم إسرائيل في فلسطين وغزة قائمةً قبل تلك الجلسة وأثناءها؟ ألم تكن العلاقات الديبلوماسية بين تركيا و"إسرائيل" قائمة والسفارات بينهما مفتوحة؟ ألم تستمر هذه الأمور على حالها بعد هذه المشادَة الكلامية؟ ألم يحصل بعد هذه المشادّة اتصال هاتفي ودي بين أردوغان وبيريز؟ ألجواب على كل هذه الأسئلة: بلى. فكيف نفهم إذاً هذا الموقف النشاز؟ لم يبقَ سوى أنه موقف استعراضي أو تمثيلية مقصود منها إظهار أردوغان كزعيم يُلبِّي تطلعات الشعوب العربية والإسلامية، وقد أقيمت الإحتفالات لهذا الغرض وتم لأردوغان ما أراد.

ب- أسطول الحرية وسفينة "مافي مرمرة"

وكذلك لو نظرنا بعمق إلى أحداث ما سمي بـ "أسطول الحرية" أو سفينة "مافي مرمرة"، لوجدنا الأمر على العكس تماماً مما تضافرت أبواق أردوغان وأجهزة الإعلام الرسمي والمبررين على تقديمه وإبرازه، حيث قدمت أردوغان كبطل شجاع لا يسكت على الظلم والذل والإهانة.

ففي ٢٩ أيار ٢٠١٠ توجهت مجموعة سفن بعد اتفاق ست منظمات دولية غير حكومية على اختراق الحصار "الإسرائيلي" لغزة لأهداف إغاثية وإنسانية. وكان في مقدمة هذه المنظمات هيئة الإغاثة الإنسانية التركية (IHH)، ولكنها توقفت بعد تعرض إحداها وهي سفينة "مافي مرمرة" التركية لهجوم "إسرائيلي" دامٍ وهي على بعد ٢٠ ميلاً عن سواحل غزة. فقد هاجمت قوات "إسرائيلية" فجر ٣١ أيار السفينة التركية التي كانت تحمل على متنها أكثر من ٥٠٠ ناشط ومتضامن، وقتلت منهم ما لا يقل عن ١٦ شخصاً وجرحت حوالي ٣٠. وحبست الركاب داخل السفينة في ظروف إذلال صعبة، واقتادتهم إلى ميناء أسدود "الإسرائيلي" حيث اعتُقلوا وضُربوا واستُجوبوا لساعات ثم أطلق سراحهم.

ورغم هذه المواقف المذلة والتي هي عملياً بمثابة إعلان حرب، لم يصدر عن أدوغان وحكومته إلا الصراخ برفض الهجوم "الإسرائيلي"، وطلب تعويضات للقتلى واستدعاء السفير "الإسرائيلي" في أنقرة للاحتجاج، وقد وصفت الحكومة التركية هذا الهجوم بأنه "غير مقبول" وطالبت الحكومة "الإسرائيلية" بتقديم توضيح عاجل لهذا الهجوم. وكذلك تجمَّع مئات الأتراك أمام القنصلية "الإسرائيلية" في اسطنبول، وطوقت الشرطة التركية مبنى القنصلية حمايةً له من الغاضبين.

ومع أن هذه المواقف لا تحتاج في الحقيقة إلى تعليق، ففيها ما هو أدهى من تعطيل التفكير، وهو تعطُّل الإحساس. إذ إنه رغم هذا الهجوم "الإسرائيلي" المهين على تركيا وتجرعها كأس الهوان علناً، لم يخجل أردوغان من ذلك، ومن تفرجه على السفينة التركية وهي تُجرُّ بإهانةٍ

وإذلال على مرأى ومسمعٍ من العالم، ولم يخجل من أنه قدَّم "الإسرائيل" الذريعة للتمادي في إهانة المسلمين، بل خرج يُجعجع وكأنه بطلٌ وصانع أمجاد، وعائدٌ بنصر مؤزر من معركة مشهودة! ومع ذلك فقد خرجت الجماهير في تركيا وفي فلسطين ومحيطها، تحتفل بمواقفه البطولية، وترقص على ألحان الإعلام المصنوع على عين بصيرة من أعداء الإسلام.

لذلك لا بد من التساؤل لأجل لفت النظر وتحفيز التفكير: ماذا فعل أردوغان ليطبِّل له المطبلون وليُحْتَفى به هذا الاحتفاء؟ لماذا لم يمنع أردوغان "إسرائيل" من إهانة تركيا بهذا الشكل المكشوف والكبير، والذي استمر لساعات على مرأى من كل العالم؟ لماذا يكتفي أردوغان بالجعجعة وهو ليس كأي فرد من الناس لا حول له ولا قوة يراقب وينتظر الفعل أو رد الفعل من دولته؟ وإنما هو الرئيس؛ هوصاحب الصلاحيات؛ هو الدولة؛ هو رئيس حكومة تركيا القادرة على سحق هذا الهجوم "الإسرائيلي"، بل على محوِ "إسرائيل" فعلاً من الوجود. ولو فعل ذلك لتحركت أمة مليارية تؤيده وتحميه وتقول له سمعاً وطاعة، فلماذا اكتفى بالجعجعة الفارغة وبتقديم "نموذج النذالة" الذي قدمه، لماذا؟ أفلا يؤدي هذا إلى ترويض الناس على عدم الإحساس بالإهانة وبجرح الكرامة، بل وعلى الرضا بذلك والتصفيق له ورؤيته سياسة شرعية وموازنات حكيمة.

ولقد جاءت الأحداث والتصريحات بعد ذلك وبخاصة بعد تنفيذ مخطط الانقلاب العسكري الفاشل في ١٥ تموز ٢٠١٦ لتشير إلى احتمال أن تكون فكرة "أسطول الحرية" مخططاً مناهضاً لأردوغان وحكومته، هدفُه

فضح عملية تطبيع العلاقات مع إسرائيل، وقد استطاع أردوغان إجهاض هذا المخطط بدعم ورعاية أمريكية، نتج عنها إخراج هذا الهجوم الإسرائيلي الذي أجهض العمل، ثم صوَّر أردوغان بطلاً.

وقد أدلى أردوغان بتصريحات تعزِّز هذا الاحتمال، وهو أن "أسطول الحرية" كان خطةً لإحراج أردوغان، وهذا يؤثِّر سلباً على شعبيّته. وبما أن هذا يفسد مخطط أمريكا لجعل أردوغان زعيماً إسلامياً عالمياً، فقد تدخلت أمريكا ورتبت الأمر مع "إسرائيل" فأجهضت تلك الخطة، وزادت أردوغان تلميعاً، عبر ركوبه قضية حصار غزة. فقد نشر موقع "ترك برس" بتاريخ ٣٠ حزيران ٢٠١٦ تصريحات لأردوغان بشأن "أسطول الحرية" مفادها أنه لا علاقة له به ولا بسفينة "مافي مرمرة". ومما ذكره الموقع: "صرح الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بأنه لم تتم استشارته من قِبَل المنظمة التي أرسلت "أسطول الحرية" وسفينة "مافي مرمرة" التي كانت تنوي كسر حصار غزة في عام ٢٠١٠. جاء ذلك في إطار تعليق الرئيس التركي على الانتقادات الموجهة للحكومة التركية بشأن اتفاق تطبيع العلاقات بين تركيا و"إسرائيل". وتساءل أردوغان مخاطباً الجهة المنظمة لأسطول الحرية: "هل استشرتم رئيس الوزراء آنذاك؟"، في إشارة غير مباشرة منه إلى هيئة الإغاثة الإنسانية (IHH) التي نظمت "أسطول الحرية" ومن ضمنه سفينة "مافي مرمرة". وكانت منظمة (IHH) قد انتقدت اتفاق تطبيع العلاقات الأخير بين تركيا و"إسرائيل"، وقالت في بيان لها إنه "يشكل وللأسف الشديد اعترافاً تركياً بالحصار المفروض

على قطاع غزة"، مضيفة أن "تخفيف الحصار المتضمن في الاتفاق لا يسمح لتركيا سوى بتدخل جزئي فقط".

ج- إسقاط تركيا للطائرة الروسية "سوخوي ٢٤"

والشيء بالشيء يُذكر، ففي هذا الأمر شَبَهٌ بإسقاط تركيا للطائرة الروسية سوخوي ٢٤ بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ٢٠١٥، حيث أنه يُصوِّر أردوغان بطلاً ويزيد من جماهيريته، وهو بريء من هذه البطولات. وقد وجد المطبِّلون لأردوغان في هذا الحدث طرفَ كرامة يتمسحون به مقابل مواقفه المُخْجِلة من سفك دماء المسلمين في سوريا وفلسطين وأفغانستان وبورما وغيرها. ثم أتت الأحداث – بعد ذلك – لتشير إلى أنه ليس لأردوغان علاقة أو عِلمٌ مسبق بإسقاط الطائرة. فبعد مخطط الانقلاب الفاشل في تركيا في ١٥ تموز ٢٠١٦، والذي أعقبته دعاية كبيرة لأردوغان زادت من شعبيته داخل تركيا وخارجها، يعتذر أردوغان للرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وتنتشر أخبارٌ عن أن الذين أسقطوا الطائرة الروسية هم خصوم أردوغان، وهم من الانقلابيين الأعداء الذين يُضمرون لتركيا العداء والشر، وقد فعلوا ذلك لتوريط أردوغان وحكومته. وعلى سبيل المثال نشر موقع "روسيا العربي" بتاريخ ٢٧ تموز ٢٠١٦ الخبر التالي: "ألحزب الحاكم بتركيا: الطيار اتخذ من تلقاء نفسه قرار إسقاط القاذفة الروسية... قال نائب رئيس حزب "العدالة والتنمية" ياسين أكتاي إن الطيار التركي الذي أسقط الطائرة الروسية "سو-٢٤" في تشرين الثاني من العام الماضي اتخذ القرار من تلقاء نفسه".

٥- مناقشة مزاعم المبررين والمخادعين

لو نظرنا إلى سياسات أردوغان طيلة سنيّ حكمه لما وجدنا فيها توجهاً لتطبيق الإسلام، ولما رأينا أي مخطط لتطبيق الشريعة، أو لجعل القرآن والسنة مصدراً للدستور والقوانين في تركيا. بل قد تبيَّن أعلاه أنه مع مرور الوقت تزداد القوانين والمواقف التركية الرسمية بعداً عن الإسلام، وتزداد حكومات أردوغان وحزبه جرأةً في المواقف الموغلة في التنكر لما يفرضه الإسلام والأخلاق الإسلامية.

ورب قائل يقول إن الأوضاع المحلية والدولية لا تسمح بتطبيق الإسلام دفعةً واحدة، وإذا أعلن أردوغان تطبيق الإسلام فسيتم إسقاطه. لذلك لا بد من مراعاة موازين القوى، والتدرج في تطبيق الإسلام.

والجواب: إذا كان أردوغان – أو غيره – يستهدف في الأساس تطبيق الإسلام، ويسعى للوصول إلى الحكم لأجل ذلك، فلماذا يحيِّده تماماً بعد وصوله؟ وإذا لم يكن ثَمَّ مجالٌ أو إمكانية لتطبيق الشريعة، وكل المنكرات وقوانين الكفر المطبقة لها مبرراتها أو ضروراتها، فلماذا أتى أو يأتي أردوغان إلى الحكم إذن؟ وإذا كان غير قادر على تطبيق الإسلام فماذا أتى يفعل؟ ماذا أتى يطبق؟ ولْنتساءل ونبحث ونتجنَّب الحكم بالعاطفة أو الهوى: هل يجوز لمن لا يستطيع تطبيق الإسلام أن يطبق الكفر؟ هل يجوز لمن لا يستطيع أن يدعو إلى الإسلام أن يدعو إلى الكفر؟ فيدعو إلى العلمانية مثلاً، ويمجِّد أتاتورك هادمَ الإسلام ودولته؟ هل يجوز لمن لا يستطيع أن يجاهر بالإسلام ويدعو إليه أن يجاهر بالكفر ويدعو إليه؟ هل يجوز لمن لا يستطيع أن يفرض على الناس والمجتمع حكم الله بأن

الزنا جريمة وفاحشة، أن يطبق عليهم بل يشرّع لهم أن الزنا ليس جريمة وأنه حرية شخصية؟ والأسئلة نفسها تُسْأل بالنسبة لمنكرات أخرى كشذوذ اللواط والسحاق الذي يسمونه المثلية الجنسية. هل يجوز لأي مسلم أن يبرر كل هذه المنكرات الشنيعة؟ فكيف يفعل ذلك علماء أو أدعياء علم، فيبررونها تارةً بزعم الإضطرار، وأخرى بزعم عدم الإستطاعة، ثم يتذرعون بجلب المصالح ودرءِ المفاسد، ويتخذونها دليلاً على كل منكر يريدونه، بل ديناً يحيِّدون به نصوص الشرع وأحكامه. وما ذلك إلا هتهتات ممجوجة لا وزن لها في الشرع، بل إن ما يزعمونة مصالح هو في الشرع مفاسد. ومن ذلك على سبيل المثال دخول الاتحاد الأوروبي، والانتماء لحلف الناتو، والمشاركة في عملياته ضد المسلمين، وفي الحرب على الإسلام التي يسمونها حرباً على الإرهاب.



موقع فرانس ٢٤: مقتل ١٢ جنديا تركيا من حلف الناتو في تحطم مروحيتهم في كابول منتصف آذار ٢٠١٢.

ولقد تبين فيما سبق كثيرٌ من هذه المواقف المخزية، وسأفند فيما يلي مبررات أتباع الأهواء وعلماء السلاطين وسائر محرِّفي أحكام الشرع والساكتين على ذلك.

أ- تهافت زعم الإضطرار

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "... وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"، والعلمانية ليست خيراً بل هي كفر، وقد تبيَّن فيما سبق حكم الإسلام في العلمانية بأنها كفر. فما يطبقه أردوغان كفر. وهذا الحديث وحده كافٍ لرد كل دجل وتحريف مبرري المنكرات المذكورة أعلاه.

ولا يجوز شرعاً التذرع بأوضاع محلية أو دولية، أو بالاضطرار أو عدم القدرة لتبرير الدعوة إلى الكفر ولا لتطبيق الكفر، فهذا من أعظم المحرمات. والأعظم منه حُرمةً أن يُفترى على الإسلام، فيُزعم وجود رخصة بتطبيق الكفر بسبب الإضطرار أو عدم القدرة. والاضطرار غير موجود هنا أصلاً. وأي اضطرار هذا، بل أين العقول والأفهام في هذه المزاعم الممجوجة؛ وهي أن يكون المرء خارج الحكم، ومضطهداً من أجهزته وحكامه بسبب اعتراضه عليهم لأنهم يحكمون بالكفر، ثم يسعى بكل قدراته وطاقته ليصل إلى الحكم ليصبح عاجزاً وفاقداً القدرةَ حتى على المطالبة بتطبيق الإسلام، ومضطراً أن يطبق الكفر ويساهم في سياساته؟ ثم هل مناصب الحكم كالوزارة أو رئاسة الوزارة أو رئاسة الدولة هي من أعمال أو تكاليف المضطرين؟ هل هي ملجأ الفارين من الظلم

والاضطهاد؟ هل هي مراكز ومناصب المضطرين أم أنها مراكز الأقوياء والمتنفذين؟ وإذا لم يكونوا أصحاب قوة وتأييد فكيف وصلوا إلى الحكم إذن؟ أم أن هناك من أوصلهم ليقوموا بأدوارهم ووظائفهم في الخداع والتنفيس والتضليل؟ وبذلك يكونون صنائعَ للذين أوصلوهم ونصَّبوهم على رقاب الشعوب؟

إن من بديهيات الإخلاص والجدية والمسؤولية أن نضع هذه التساؤلات موضع البحث وأن نبحثها بموضوعية. ولقد عُرض على النبي ﷺ أن يكون الحاكم مقابل عدم تطبيق الإسلام كاملاً، أو أن يُقِرَّ أحكام كفر ويُقِرَّ عبادة غير الله ﷻ، فرفض ذلك رفضاً قاطعاً، ونزلت في هذا الأمر مباشرةً سورة كاملة هي دستورٌ في هذا الشأن إلى يوم القيامة، وكانت بمثابة الإعلان الشرعي العالمي لرفض الحكم بغير ما أنزل الله مهما كان الثمن. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾ سورة الكافرون. فقد بدأت الآية بخطابٍ من الله ﷻ إلى نبيّه ﷺ بكلمة: **قل**، أي: أعلِن يا مُحَمَّد هذا الإعلان لعالم الكفر كله؛ إعلان المفاصلة التامة والنهائية بين إيمانك وشريعتك وعبادتك ونُظُمِك، وإيمانهم وشرائعهم وعباداتهم ونظمهم. ثم تكرِّر السورة الأمرَ نفسه رغم وضوحه، تكرِّره ليكون تأكيداً دالاً على أهمية الأمر وعظيم خطره. ثم تكرره مرةً أخرى بنص موجزٍ قاطع، وبليغٍ حاسم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾. والقاعدة الاصولية تقول: "خطابُ الرسولِ خطابٌ لأمته ما لم يَرِدْ دليلُ التَخْصيصِ". وهذا يعني أن **هذا**

الإعلان هو إعلان المسلمين للكافرين كافة في كل زمانٍ ومكان وإلى يوم القيامة. فهو إعلانٌ إسلاميٌ عالميٌ إلى يوم القيامة بحظرِ الحكمِ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ وبحظرِ المساومةِ على ذلك مهما كان الثمن. وكذلك فإن هذا الإعلان عامٌّ في كل الأحوال، سواء في حال الشدة والتهديد والإضرار، أو في الرخاء وعرض المناصب وتقديم المغريات. فقوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ عام في كل الأحوال، وقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ عامٌ أيضاً في كل الأحوال. وكذلك فإن حرمة الحكم بغير ما أنزل الله مسألة قطعية دلت عليها نصوص تفوق الحصر، وهي تندرج في مباحث العقيدة لأنها من معاني كلمة لا إله إلا الله. فكيف يتجرأ هؤلاء على مناقضة هذه القطعيات ونقض هذا الحكم القطعي هكذا كِفاحاً!

ويُضاف إلى ذلك أن النبي ﷺ والمؤمنين معه رضي الله عنهم لم يكونوا يعيشون أوضاعاً طبيعية، وإنما كانوا يعانون التعذيب الشديد والقهر والتهجير والأوضاع الصعبة... ومع ذلك لم يَقبَل ﷺ أي مساومة في مسألة الحكم بالإسلام كاملاً. وهذا يعني أن هذا الإعلان العالمي في سورة "الكافرون" لوجوب تطبيق الإسلام وحده وحرمة تطبيق الكفر عامٌّ ولا استثناء فيه لأي جماعة ولا لأي زمان، فلا استثناء فيه بسبب القدرة ولا رُخصة في ذلك.

ب- تهافت زعم عدم الإستطاعة

أما أحكام القدرة أو الوسع، فتنبغي الإشارة إلى أن بعض المشتغلين في أمور الدعوة والعمل الإسلامي يتطفلون على الفقه وعلى أصول الفقه،

فيأتون بالعجائب والغرائب. ولقد شاع بين المبررين فهم خاطئ بل معكوس لقوله تعالى في سورة التغابن: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾. فينبغي أن يتنبه المهتمون بالفقه والعلم الشرعي ومتابعو هذا الشأن – بل لا يَحْسُنُ بهم أن يجهلوا أو يغفلوا – أن أحكام القدرة والوسع تتعلق بالأفعال المطلوبة شرعاً وليس بالأفعال المنهيِّ عنها. فالمنهيُّ عنه لا يتأتي فيه القول بعدم الوسع أو القدرة. وقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﵁عن النبي ﷺ: " مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ واخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ". فالشرعُ ربط الاستطاعة بالمأمور به، ولم يربطها بالمنهي عنه. فالمنهي عنه يجب تركه جميعه، وفي هذا دلالة واضحة على تهافت كل تبريرات الحكم بغير ما أنزل الله ولو في مسألة واحدة. فترك هذا الفعل المحرم يقع ضمن الإستطاعة، ولا جدال في وجوب تركه. وأدلته هي أدلة وجوب طاعة الله وحرمة معصيته، وهذه قطعية الثبوت والدلالة، ومنها قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ في الآية ١٦ من سورة التغابن، وهذا على النقيض من زعم الذين يُبَدِّلون معنى هذه الآية، فيقعون في تحريف الكلم من بعد مواضعه، ويزعمون جواز المعصية وإتيان ما نهى الله عنه. وثباتُ النبي ﷺ وصحابتِه ﵃ في الأوضاع الصعبة التي كانوا يُقاسونها، يزيد ذلك بياناً وتأكيداً.

وهذا يعني أن الإسلام هو الذي يجب أن يصل إلى الحكم، وليس شخص أو حزب، مهما كان تقياً ومهما كانت شخصيته إسلامية. وإذا لم يصل

الإسلام إلى الحكم أو يُوضع موضع التطبيق كاملاً، فهذا يعني أنه سيُطبَّق غير الإسلام ولو في حكمٍ واحد، وهذا لا يجوز. قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ... (٤٩)﴾ سورة المائدة. ويكون الواجب هو ما بيّنه القرآن وما فعله النبي ﷺ؛ وهو استمرار العمل للوصول بالإسلام إلى الحكم إلى أن يحصل التمكين والحكم بما أنزل الله. ولذلك فإن تبرير الحكم بغير ما أنزل الله – ولو في بعض الأحكام أو القوانين – هو أمر مناقض لقطعيات الإسلام، وكل ما يزعمه المبررون بهذا الشأن مردود لأنه يناقض قطعيات الشرع، وهو أكاذيب ومغالطات. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)﴾ سورة النساء. وقال أيضا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ سورة النساء.

ج- المخادعة بالتدرج

أما التدرج في تطبيق الإسلام، فبمجرد فهم معنى التدرج من حيث هو تدرج وتصوره في الواقع، ينبغي نبذه. ولا يمكن لمسلم يعرف ما هو التدرج أن يقول به. أما قبوله الانخداع بمبرراته عند كثيرين فيرجع إلى الجهل، وإلى تعطيل التفكير أو ضعفه إضافةً إلى دجل الذين يُزيّنون القبائح. وذلك أنهم يعرضون التدرج بأنه تطبيق بعض أحكام الشريعة اليوم، ثمّ

تطبيق بعضٍ آخر منها غداً، ثم بعضٍ آخر بعد غدٍ، وهكذا حتى يتم تطبيقها بالكامل. وبهذا العرض السطحي يبررون كبائر المحرمات. وفي الحقيقة فهذا الكلام يصلح مثالاً على التفاهة، وهو لا ينطلي على من له دراية – ولو يسيرة – بكيفية جريان الأحداث وحصول التغيرات في الواقع، وبخاصة في العمل السياسي. ولكن كيف ينطلي على الناس أو يقول به مشايخ؟ والجواب: إن هذا من دلائل السذاجة وضعف التفكير الذي كان سبباً في عمق الإنحطاط، وصَدَقَ الذي قال إن أمةً هكذا علماؤها حريٌّ بها أن تكون متخلّفةً ومنحطَة.

يعرضون التدرج كالتالي: نطبق اليوم بعض الإسلام، وهذا الكلام منطوقه حسن إذ هو يفيد تطبيق أحكام شرعية. ثم نطبق غداً جزءاً آخر مما لم نطبِّقه بعد، وهذا أيضاً منطوقه حسن كالذي قبله. وهكذا نفعل فنطبق جزءاً بعد جزءٍ إلى أن نطبق الإسلام كله. وهذا – بلا شك – كلام من من أحسن الحسن.

إلا أن هناك ما يخفيه هذا العرض، وهو المنكر الذي يحاول تبريره بهذا التضليل والغش. فهو عندما يقول نطبق بعض الأحكام أو جزءاً من الأحكام اليوم، يطمس أن كلمة بعض تعني أن هناك بعضاً آخر، وكلمة جزءٍ تعني أن هناك جزءاً آخر، والحرمة ليست آتيةً من البعض أو الجزء الذي تطبقه من الإسلام، وإنما من البعض أو الجزء الآخر وهو ما تطبقه من الكفر، وهو الأعظم بحجمه ونسبته. وهكذا فإن حرمة التدرج هي بسبب تطبيق الكفر. ومعنى التدرجِ في تطبيقِ الإسلامِ تطبيقُ الكفر. فكلمة التدرج هنا احتيال وخداع، وتصبح جملة: "التدرج في تطبيق

الإسلام" بديلاً عن جملة: "التحايل في تحسين تطبيق الكفر". وبفهم واقع التدرج ومعناه بشكل تام يتبيّن أنه لا يقول به مسلم. وإنما يقبله ويبرر به فعل المنكرات من سَفِهَ نفسَه وضلّ عقلُه، لأنّ فهم واقعه يؤكد أنه حرام ولا جدال. وحرمته هذه تم بيانُها فيما سبق في أكثر من موضع؛ عند بيان حرمة الحكم بغير الإسلام، وعند بيان تهافت زعم الاضطرار، وعند بيان تهافت زعم عدم الاستطاعة.

وفوق هذا كله، إذا نظرنا إلى التدرج الذي يتّكِئون عليه، فعلى صعيد سن القوانين والتشريعات، سبق البيان أن أردوغان لم يسعَ لِسَنِّ قوانين مصدرها الشريعة، لا تطبيقاً لزعم التدرُّج ولا غير ذلك. وإنما فعل العكس وتمادى في مناقضة أحكام الشرع. فقد حصل زمنَ أردوغان وحزبه تغييراتٌ في القوانين، ولكن ليس باتجاه الاسلام، وانما باتجاه التحلل منه وإزالة صفة القداسة عن أحكامه، وترويض الناس على مخالفته، وتبرير ذلك بما استطاعوا من حجج.

ولقد سبق الحديث عن تمثيليات سن قوانين تناقض الشرع، وكذلك عن الواقع الذي يحاولون تبريره بكلمة التدرج، حيث يَصْدُر قانون ينص على أن الزنا ليس جريمة، ثم ينص قانون آخر على حرية اللواط باعتباره حقاً اللوطيين وحرية شخصية وهكذا. لذلك ألفت النظر هنا إلى أن هذا الذي يسمونه تدرجاً، هو ليس تدرجاً في تطبيق الإسلام، وإنما هو تدرُّجٌ في ترويض المسلمين على استساغة تطبيق الكفر. فإذا ما روّضوهم على قبول منكر أو التهوين من شأنه انتقلوا إلى منكرٍ غيره وهكذا. ومع كل ذلك نجد عملاءهم يروِّجون لهم بتدبيج المقالات، وبالقصائد والاحتفالات،

وبشعارات تدغدغ عواطف الجماهير التي تصفق لهم، وفيقودونها وتنقاد لهم مطمئنّةً. قال ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)﴾ سورة الكهف. فهذا التدرُّج مكر لا يقف عند حد تضييع الجهود ، بل يتجاوز ذلك إلى استدراج المسلمين نحو الضلال وسلخهم عن دينهم.

د- ذريعة الانضمام إلى الإتحاد الأوروبي

ترى حكومات تركيا المتعاقبة منذ نصف قرن في انضمامها إلى الإتحاد الأوروبي مصلحة كبيرة لها تستحق التضحية ببعض المصالح. لذلك يتخذ أردوغان من هذه القضية ذريعة لمواقف وأعمال غير شرعية وغير مشرفة. ويلجأ الحريصون على إظهاره كزعيم إسلامي ملتزم إلى تبرير هذه المواقف والأعمال بذرائع شتى من عدم الإستطاعة والضرورات والتدرج وجلب المصالح ودرء المفاسد، ومن أهم تلك المصالح الانضمام إلى الإتحاد الأوروبي.

تركيا موعودة منذ العام ١٩٦٣ بالانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، ومنذ ذلك الوقت وهي تسعى وتنتظر، وتلعب هي والإتحاد الأوروبي ألاعيب التكاذب والتآمر. وقد قدمَتْ طلباً رسمياً للانضمام للاتحاد الأوروبي سنة ١٩٨٧. وفي العام ٢٠٠٥ بدأت حكومة أردوغان التفاوض حول الشروط التي تضعها منظمة الإتحاد الأوروبي على تركيا لتحصل على الموافقة للإنضمام. ومن هذه الشروط حرية الرأي التي علامتها التهجم على الإسلام وشتمه وشتم نبيه وإهانة مقدساته بشتى الوسائل، وحرية العقيدة التي علامتها وبرهانها حق الردة وإخراج المسلمين من دينهم إلى أي دين

آخر، والحرية الشخصية وما تعنيه من حق الزنا والعري والإباحية واللواط وما يسمونه المثلية الجنسية. إضافة إلى تشريعات كفر في شتى مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية وسائر العلاقات. وتتخذ حكومة أردوغان وأبواقه من دخول (جنة) الاتحاد الأوروبي المزعومة ذريعةً لتبرير تشريع قوانين كفر ومواقف مذلة واتفاقيات خيانية، وتروج لهذه الذرائع. وبذلك تصبح المصلحة هي الدينَ والدليلَ، أما الأدلة الشرعية من نصوص القرآن والسنة فلا محل لها في هذه الأوضاع بسبب ما تُفَوِّتُه من مصالح وما تؤدي إليه من مفاسد!

وإن في هذا الأمر لمكراً كبيراً، إذ هو ليس فقط اتكاءً على ذريعة لمُواطأة ما حرم الله، بل إن الذريعة التي يتمُّ الاتكاء عليها هي نفسها محرمة. وهذا مؤشر على حجم المكر وعمق الانحطاط.

فالاتحاد الأوروبي منظمة قائمة على الكفر في أصولها وفروعها، ومن يدخلها فهو يسعى بيديه ورجليه إلى تحكيم الكفر به وبدولته وبشعبه، وإلى الانخراط بسياسات تخدم الكفار وتُضعِف الإسلام وأهله، وهذا من أكبر المنكرات. قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)﴾ سورة النساء. وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ

فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)﴾ سورة المائدة. وهكذا فلو كانت الذريعة جائزة شرعاً لما جاز التذرع بها لإباحة ما حرَّم الله ﷻ، فكيف بها وهي من أكبر الكبائر! إنها كبائر بعضها فوق بعض.

دور رجب طيب أردوغان

في خطة القضاء على الإسلام

الخطة الغربية – الأردوغانية

لا بد من الإشارةِ بدايةُ إلى أن هذه الخطة جزءُ أو ركنٌ من الخطة الغربية الشاملة ضد الإسلام. فالخطة الغربية – الأردوغانية هي التي أردوغان أداتها الأهم، وهي خطوة أو مرحلة على طريق الخطة الغربية لضرب الإسلام. فالخطة الأردوغانية ضد الإسلام جزء من الخطة الغربية الأشمل.

وكذلك لا بد من الإشارة إلى أن معنى القضاء على الإسلام في الخطة الغربية هو أن يصبح الإسلام ديناً كهنوتياً، عقيدته روحية فقط، وتدخلها الخرافات التي سيوجِدون من يدسها وسيشجعونهم، وسيصنعون الفِرَق على أساسها. وكذلك فإن القضاء على الإسلام يعني طمس أنظمة العيش والعلاقات العامة التي شرعها، فلا يكون فيه دولة ولا نظام حكم ولا علاقات سياسية، ولا نظام اقتصادي أو اجتماعي ولا مسؤولية عن الناس، اللهم إلا بمقدار محدود ضمن إطار الأخلاق والمشاعر الإنسانية.

وتجدر الإشارة ايضاً إلى أن موضوعنا في هذا الكتاب هو الخطة الغربية – الأردوغانية وليس الخطة الغربية الشاملة، فالحديث في هذه الاخيرة يقتضي بيانها كاستراتيجية وبيان خططها التفصيلية، وتنوُّعِ هذه الخطط باختلاف الأمكنة، وتطورِها مع الوقت وبَعْدَ التجارب. وهذا يحتاج لأن

نفرد له بحثاً مفصَّلاً ومنفصلاً. لذلك يقتصر ما نبحثه هنا على دور أردوغان أو وظيفته في المخطط الغربي للقضاء على الإسلام.

وقد تبيَّن فيما سبق كيف تمضي الخطط الغربية بواسطة أردوغان من خلال تمثيليات، كما مضت قبله بكثيرين غيره من الذين اتخذوا قضايا الأمة شعارات لهم؛ من تحريرها إلى نهضتها إلى وحدتها وعزتها إلى قيامها بدورها وحملها رسالتها. فانخدعت بهم الشعوب المشتاقة للعز والمنتظِرة لقائد ينقذها مما هي فيه. وانبهرت ببريق هذه الشعارات، ولم تُدرك ولم تُصدِّق أنه بريق زائف وأنه ليس كل ما يلمع ذهباً. وما سبب ذلك إلا تعطل التفكير السياسي، وضعف البديهة، وضياع صوت الحقيقة وسط ضجيج صوت الباطل المرتفع. فلم يبقَ ثَمَّ لبسٌ أو شكٌ بانطباق حديث النبي ﷺ عن الرويبضة على هذا الواقع حيث قال ﷺ: "سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: الرَّجُلُ التَّافِهُ يَنْطِقُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ". وهكذا أصبح المسلمون عملياً أعداءً لدينهم ولأنفسهم ولمن يدعوهم الى العمل الصحيح والطريق الصحيح.

وإذا كان قد مضى من العملاء من مضى من الذين أنجزوا للكفار ما أنجزوه ثُمَّ اكتُشِفوا بعد حين، فهناك غيرهم ممن ما زال يقوم بأدوار مماثلة وعلى رأسها محاربة الإسلام بشكلٍ خفيٍّ ومكرٍ كبيرٍ كما وصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢)﴾ سورة نوح. وبقوله: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦)﴾ سورة

إبراهيم، وفي مقدمة هؤلاء رجب طيب أردوغان، الركن الأبرز في الخطة الغربية ضد الإسلام والأمة الإسلامية. فما هو دور رجب طيب أردوغان؟

لبيان دور رجب طيب أردوغان ينبغي فهم الواقع الذي جاء فيه والأعمال التي يقوم بها. أما الأعمال التي يقوم بها فقد تبيّنت أعلاه من حيث غاياتُها وكيفيةُ إخراجِها، وأما الواقع الذي جاء فيه وليقوم بدوره فيه، فكذلك قّدَّمتُ له أعلاه تحت عنوان: "الصحوة الإسلامية تفرض تغيير نوعية الزعامات المصنوعة"، وسأزيده بياناً فيما يلي وذلك لأهميته ولارتباط دور أردوغان به.

عودة الإسلام إلى ساحات الصراع كعقيدةٍ ونظم حياة

بعد أن هدم الإنجليز دولة الخلافة بواسطة عميلهم اليهودي مصطفى كمال أتاتورك، وهيمنوا على حكم البلاد، وحيدوا الشريعة الإسلامية عن الحكم، ولم يعد القرآن والسنة مصدراً للقوانين وشرائع الحكم، اطمأنوا إلى أنه لن تقوم للإسلام قائمة بعد ذلك. وقد أوردنا فيما سبق قول اللورد كرازون في ذلك: "لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم، لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين: الإسلام والخلافة". إلا أن الأمر لم يكن أبداً كما ظنوا. فما أن انتشَوْا بذلك وظنوا أن الأمر قد انتهى لصالحهم، وحلموا بانهاء كل حضارة تواجه حضارتهم المادية أو ترفضها، حتى فاجأهم الاسلام يطل بهيبةٍ ويعلن بثقةٍ أنه عقيدة عقلية ينبثق عنها نظام، وأن نظامه شاملٌ لكافة شؤون الحياة، وأنه للبشرية كلها، وأنه بديل للعالم عن أي نظام آخر، وعلى وجه الخصوص النظام

العلماني الرأسمالي وكلٌّ ما يتفرع عنه من نظم في الحكم أو الاقتصاد، ثم إذا بهذا الإسلام يزداد رسوخاً وانتشاراً ويهدد بالقضاء على الرأسمالية واستعمارها.

ولقد حصلت مواجهة فكرية جادة ومفاجئة، وكان كفاحٌ مكلفٌ ومُضنٍ، انتصر فيه الإسلام كعقيدة وفكر، وكأمل عند المسلمين وهدف. وشعر الغرب أن وجوده واستعماره ومصالحه في خطر، فالأمة الإسلامية التي كانت في تراجع وهبوط أخذت تنهض وتصعد، وتتطلع الى قيادة البشرية مرة اخرى عبر استئناف الحياة الإسلامية بإقامة الدولة الاسلامية، دولة الخلافة الراشدة الثانية، الخلافة على منهاج النبوة.

قاوم الغرب والشرق هذه الفكرة بشتى الطرق والأساليب فلم ينجحوا. وأدركوا ان المسلمين لم يموتوا كأمة. وكان من أهم ما أدركوه وتنادَوْا عالميا في منتدياتهم ومؤتمراتهم ومجالس حكوماتهم ليواجهوه، هو هذه الصحوة الإسلامية الإيمانية الفكرية السياسية. وقد فاجأهم أنَّ ما فعله أبالسة الإنجليز وسائر الكفار سابقاً بهدم الخلافة بواسطة أتاتورك لم يكن كافياً، لم يكن كافياً أبداً.

لقد أسقطوا الخلافة وقضَوْا على تطبيق الإسلام. وبتعبير آخر: لقد قضَوْا على الإسلام كدولة ونظام في غالبية مناحي الحياة، وحيَّدوا القرآن والسنة عن الحياة العامة بشكل تام، واطمأنوا إلى حساباتهم بأنه لن تقوم للإسلام قائمةٌ بعد ذلك. ولكنهم وَهِموا، فذلك كله لم يقضِ على الإسلام، ولن يقضي عليه. فعقيدة الإسلام حية لا تموت، لأنها حقيقةٌ حاكمة على الكون بما فيه، وهي تبعث الحياة في المسلمين وفي كل باحث عن حقيقة

ذاته ومصيره، وهي دائمة الدفع والتحفيز لمعرفة السبيل، لذلك عاد الإسلام خصباً وبزخم، ينتج الافكار والتشريعات ويبني الرجال، وها هو يتجدد، والمسلمون يَعودون من جديد؛ رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فيرفضون حضارة الغرب، وينبذون فكرة فصل الدين عن الحياة وعن الدولة، ويعُدُّون ذلك كفراً يجب تخليص البشرية منه وإلقاؤه في مزابل التاريخ.

حاجة الغرب لتخطيطٍ جديدٍ للقضاء على الإسلام

أدركوا أنهم فشلوا بتحقيق هدفهم النهائي من مخططاتهم وهو القضاء على الاسلام. ثم أخذوا يشاهدون الإسلام وفقهه السياسي يتجدد في المسلمين. فتجدد رعبهم وتبع ذلك تجدُّدُ خططِهم لمواجهة هذا الخطر. وقد وضعوا خططاً لمحاربة الإسلام من غير أن يعلنوا عنها بشكل مباشر، وذلك تجنباً لإثارة المسلمين ضدهم. فأطلقوا على ما يقبلونه من الإسلام إسم الاسلام "المعتدل" و"الوسطي". أما الإسلام الحقيقي فأطلقوا عليه إسم "الارهاب".

وهم يعملون على هذا الأساس منذ أكثر من ثلاثة عقود، ويصنعون العملاء لهذا الهدف في مناطق كثيرة. وكل ذلك بهدف القضاء على الاسلام، من خلال تحريف مضمونه الفكري والسياسي أو تفريغه منهما. وبذلك يقضون (كما يتوهمون) على الإسلام وخطره عليهم، وينجحون (بحسب أوهامهم) فيما فشلوا فيه بواسطة مصطفى كمال أتاتورك، أي فيما فشلوا فيه بالغائهم الخلافة ومحاربتِهم الإسلام حربا شنيعةً وشعواء.

وقد بذلوا جهوداً ضخمة على كافة الصعد؛ من خلال الإعلام والتعليم، ومؤسسات الإفتاء ومراكز الدراسات، للترويج لما يسمى الاسلام الوسطي أو المعتدل، أو المتطور والمرن، أو الحداثي. واستعملوا في ذلك أبواقهم من مشايخ الدجل ومفتي الضلال وتجار الدين، وكلهم يساهمون في تحريف الإسلام واحكامه لإرضاء امريكا والغرب، غافلين أو متغافلين عن قوله ﷻ: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)﴾ سورة البقرة، ولموافقة أفكار الغرب الرأسمالي في الحريات العامة والديمقراطية، وفي حقوق الانسان والمرأة، وفي إباحة الردة، وفي الانحلال الأخلاقي والشذوذ، وفي التحايل على أفكار الإسلام السياسية وفقهها بهدف تحريفها أو إلغائها. وقد سار في هذه السبل كثيرون من الذين في قلوبهم مرضٌ كما أخبرنا ﷻ في قوله: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ(٥٢)﴾ سورة المائدة، ومن الذين في قلوبهم زيغ، الذين يفتِنون الناس عن الشرع، بتحريف دلالات النصوص لتوافق أهواء أسيادهم وقوانينهم ومصالحهم كما في قوله ﷻ: ﴿... فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ... (٧)﴾ سورة آل عمران.

ولقد حرص الغرب على إحكام خططه، فشجع الذين ينادون بـ "الإسلام الأمريكي". وكان لا بد له من استقطاب الشارع الاسلامي الذي بدأ يصحو على حقيقة هويته وانتمائه وإسلامه، كما كان لا بد له في الوقت نفسه من ضرب هذا التوجه عند المسلمين، وصرفهم عنه بشتى الأساليب

ومهما كلف الأمر. فهذا الأمر بنظر حكام الغرب ومفكريه خطيرٌ جداً ومصيريٌ، لذلك كان لا بد لهم من الحذر الشديد منه والاهتمام الجاد بمعالجته.

دور أردوغان في المخطط الغربي للقضاء على الإسلام

يشير ما سبق إلى الدور الذي جاء اردوغان ليقوم به، والذي أوغل فيه بالتدريج. فقد صار أردوغان أكثر جرأة على السير في سياسات ليس فيها أي اعتبار لأحكام الإسلام، بل وعلى إعلان أفكار ومواقف مناقضة للإسلام، وعلى إقامة علاقات لا يحبذها الناس. بل إن أردوغان انقلب خلال مسيرته السياسية على كثيرين من زملائه في عمله السياسي والحزبي، بل على معلميه ومؤسسي جماعته. من هؤلاء مثلاً رئيس الحكومة الأسبق في تركيا نجم الدين أربكان، والذي يسميه البعض "أبا الإسلام السياسي". والصراع اليوم بينه وبين فتح الله جولن – الذي يقيم في بنسلفانيا في أمريكا، وصاحب النفوذ الكبير في عدد الأتباع والمؤسسات والقدرات المالية والخدمات التي يقدمها للناس– شديد، مما يدل على أنه وُصوليٌّ يتخذ من الإسلام وقضاياه سلماً إلى غاياته، ومن رفاق دربه مطايا يُبلِّغونه مقصده. ولذلك قضى نجم الدين أربكان آخر عمره حانقاً على أردوغان وحزبه، واتهمه بالعمالة للصهيونية. وقد نَشَرت اتهامات أربكان لأردوغان عدة مصادر منها موقع "أخبار الأمريكان العرب" (arabamericannews.com) الاذي نشر خبراً في ١٢ كانون الأول ٢٠١٠ جاء فيه: "فجّر رمز الإسلام السياسي في تركيا، رئيس

الحكومة الأسبق نجم الدين أربكان، الأسبوع الماضي مفاجأةً من العيار الثقيل، بوصفه رئيسَ الحكومة رجب طيب أردوغان والرئيس عبد الله غول بأنهما "أداة بيد المؤامرة الصهيونية" وقال أربكان: "ببساطة، أردوغان وحزبه هما أداة بيد المؤامرة الصهيونية، حتى إنّ وصول الحزب إلى السلطة عام ٢٠٠٢ حصل بمساعدة من الحركة اليهودية العالمية". وأضاف الموقع: "وختم أربكان بالقول: إنّ كليهما، أردوغان والرئيس عبد الله غول، أداة بيد المؤامرة اليهودية العالمية".

وفي المحصلة فقد آل الأمر اليوم بعد أن فشل الغرب في تحقيق هدفه النهائي من خلال هدم الخلافة إلى أن يكون رجب طيب اردوغان هو المعتمد والركن الأهم في الخطة لتحقيق هذا الهدف. ويتلخص الدور الذي يقوم به في سبيل هذا الهدف بما يلي:

١- أن يلعب دور القائد الذي تنتظره الأمة لإنقاذها مما هي فيه. وذلك أن الأمة بلغ إحساسها بالقهر والظلم من حكامها ومن الغرب المتحكم فيها حد الانفجار، وبلغ إدراكها أن خلاصها لن يكون إلا بالإسلام مبلغاً عظيماً، وهي تشعر بأن الله ﷻ سيهيء لها القائد الذي سيقودها تحت رايات الإسلام ليعيدها سيرتها الأولى في العز والمجد والانتصارات. فإذا نجح أردوغان بإقناع الأمة أن ترى فيه هذا القائد، فإنه يؤدي بذلك أهم الأدوار وأعظم الخدمات للغرب، بل وللكفر برمته في هذا الصراع المحتدم اليوم بين الإسلام والكفر. والغرب يدرك خطر الإسلام إذا قامت له دولة حقيقية، ويدرك أيضاً أن الجزء الأكبر من الصراع بينه وبين

الإسلام ما زال كامناً، ولم يظهر منه حتى الآن سوى قمة الجبل. فإذا نجح أردوغان بهذا الدور، يتمكن العدو الكافر من الأمة ومن طاقاتها، فيجعلها حطباً لناره، وتضيع طاقات الأمة لأجل التحرر والنهوض في أعمال ضارة ومؤذية لها بل مدمِّرة، تزيدها ضعفاً وحيرةً وتبعيّة. ويُقضى بذلك على جهود وطاقات وتضحيات عقود من حمل الدعوة لأجل انعتاق الامة وتحريرها من رجس الهيمنة الغربية والاستعمار. ولذلك يساعد الغرب كله أردوغان في هذا الأمر بسبب أهميته الكبيرة له ولمصير حضارته ووجوده. والمقصود الأول بالغرب هنا هو أمريكا لأنها هي صانعة أردوغان وراعيته، وهي صاحبة استراتيجية "الحرب على الإرهاب" التي يقع دور أردوغان فيها جزءاً من خططها.

٢- أن يتم تكبير أردوغان وزعامته الإسلامية لتتجاوز حدود تركيا وكل العالم العربي، إلى كل مكان فيه صحوة إسلامية حقيقية تؤثر على الصراع الحضاري العقدي والفكري بين الإسلام والغرب الرأسمالي، ويمكن أن يهدد الهيمنة الغربية الاستعمارية. ولذلك رأينا أردوغان يطير إلى مصر بعد الثورة المصرية، وكذلك إلى ليبيا وتونس، بُعَيْدَ ظهور التوجه الإسلامي في هذه البلدان قوياً ومفاجئاً ومخيفاً لأمريكا والغرب. فتدخَّل فيها أردوغان بشكل واضح، ناصحاً الذين يُتوقع أن يستلموا الحكم بعد الثورات بأن يكونوا علمانيين، وأن يفصِلوا الدين عن الدستور والأنظمة والقوانين، وليعلن للعالم أنه مسلم ملتزم، وفي الوقت نفسه علمانيٌ

في الحكم ويحكم دولة علمانية بدستور علماني. وكذلك نلاحظ أن أردوغان قام بزيارة إلى بورما بمناسبة المحارق التي يتعرض لها المسلمون هناك، وكما هو متوقع من أردوغان، لم يكن لهذه الزيارة أي فائدة للسلمين هناك، لأن المطلوب الترويج لزعامته، وليس إنقاذ المسلمين ولا تحقيق مصالح سياسية لهم. ولتركيا إمكانية التدخل ولعب أدوار مؤثرة في القوقاز ذات الأغلبية الإسلامية. وهذا يفتح المجال لأردوغان ليقوم بالدور المرسوم بشكل أكبر. إلا أن هذا الدور الأخير تحْذَرُه روسيا وترفضه بشدة، وهو مما ينبغي بحثه بتفصيل وعمق عند النظر في الخطة الغربية الشاملة، وهي ليست موضوعنا هنا.

٣- تحريف أحكام الإسلام عبر تفريغ الإسلام عملياً من الأحكام الشرعية في معظم مناحي الحياة. وذلك بأن يقوم أردوغان بمساعدة حزبه والحركات التي على شاكلته، وأجهزة إعلام وكتاب وناشرون وعلماء وفضائيات ومراكز فكر ودراسات، بتضليل المسلمين بتحريف أحكام الإسلام المتعلقة بالدولة والحكم والاقتصاد والعلاقات الدولية، بحيث يكون أردوغان هو النموذج في ذلك، بل هو المثال الأعظم، وتكون تركيا العلمانية المتغرِّبة هي نموذج الدولة الإسلامية، وهي النموذج التركي للإسلام الذي يجب أن يُحتذى. ويستقر في قناعات المسلمين أن أردوغان حاكم وزعيم إسلامي ملتزم، مع أنه يخضع لقوانين وأنظمة الأمم المتحدة في الحريات العامة، كحرية العقيدة وحق الردة وحق

الأفراد في أن يعبدوا الله ويقيموا شعائر دينهم أو أن لا يعبدوه ولا يفعلوا ذلك أبداً، وفي حرية الملكية واستباحة الربا والمعاملات الاقتصادية المحرمة في الإسلام. فهذا مما يعنيه القضاء على الإسلام. لذلك يجب أن يفهم المسلمون أن هذا كله لا تأثير له على كون الحكم إسلامياً لأنه من الحريات المتروكة للناس. وكذلك يقال في حرية الرأي والحرية الشخصية وما يقتضيه ذلك من حرية انتهاك المقدسات والاعتداء على القرآن الكريم وعلى النبي ﷺ، ومن إباحية جنسية وشذوذ. وقد تبيّن – فيما سبق من هذا البحث – دور أردوغان في هذه القضايا. وما يؤول إليه هذا التخطيط هو تحريف أحكام الإسلام وتكريس التحريف إلى أن لا يرى المسلمون المنكرَ منكراً أو الواجب واجباً، وإلى أن يصبح الفكر الغربي الرأسمالي بأصوله وفروعه مما يقره الإسلام ويقبله، أو مما لا شأن للإسلام فيه أصلاً، ثم أعطِ ما لأردوغان لأردوغان وما لله لله!

٤- ترويض المسلمين على المواقف غير الشرعية ولو كانت من الكبائر، كما في العلاقات مع "إسرائيل" وغيرها من الذين يقتلون المسلمين، أو على عدم مسؤولية المسلمين تجاه بعضهم، فتُسْفَك دماؤهم وتُهدَمُ بلادهم ويُقصفون ويُحرقون حرقاً، في سوريا وفلسطين وبورما وروسيا ومصر وأي مكان آخر، ويخرج الزعيم الإسلامي الملتزِم، والذي يُروَّج له بأنه حفيد السلاطين الأبطال، أوالخليفة الذي استطاع أن يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ليعلن

عدم مسؤوليته عما يجري على حدوده شمال سوريا إلا بمقدار ما يؤثر ذلك على تركيا وأمنها. وكذلك بالنسبة لفلسطين وكل بلد إسلامي، وأنه يُقَدِّم المساعدات لفلسطين أو سوريا أو غيرهما من محض المنطلق الإنساني وبحسب ما تنص عليه وتسمح به القوانين الدولية وليس بحسب أحكام الإسلام في إخوة المسلمين وتواصلهم وتراحمهم ومسؤولياتهم تجاه بعضهم البعض. وكذلك هو لا يتدخل في شؤون تلك الدول، لأن هذا يتعارض مع القوانين الدولية المعاصرة ومع الدولة الحديثة، فالتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى ممنوع. وبذلك يضرب أردوغان ودولتُه الإسلاميةُ "النموذجُ" فكرةً عقدية قطعية في الإسلام، وهي أخوَّة المسلم للمسلم ومسؤولياته تجاهه. ويُراد لهذا الأمر أن يسري على كل أحكام الإسلام في الحكم والاقتصاد وسائر العلاقات العامة.

٥- ومن دور أردوغان أيضاً القمع والبطش الذي يتم بشكل غير قانوني بواسطة الأجهزة الأمنية والمخابراتية، إضافة إلى ما يتم من ذلك بشكل قانوني بموجب قوانين محاربة الإرهاب والتطرف. وهذا مما تتابع أمريكا إنجازه بجدية في كل بلاد المسلمين، ويتم تحت عنوان "الحرب على الإرهاب"، وتنشأ له مؤسسات ومنظمات مجتمع مدني. وقد جعلته أمريكا قانوناً دولياً، وتشرف على توجيهه داخل كل البلاد، وتباشر تنظيمه وتنفيذه بنفسها في بلاد المسلمين. ولتركيا أو عليها نصيبٌ كبيرٌ من هذه الحرب.

ففي الأمة توجهات تدرك حقيقة هذا الإسلام الأردوغاني الأمريكي وتراه كفراً وزندقة، وتشكل مواجهتها له خطراً عليه. لذلك ستكون هذه الجهات مستهدفة بهذه الملاحقة، وبهذا القمع القانوني وغير القانوني لأجل القضاء على أفكارها وعليها. وسيكون هذا بذرائع محاربة الإرهاب ومواجهة التطرف والتخلف والتزمت للقضاء على كل ذلك.

هل ينجح هذا المكر؟

يتضمن هذا المخططُ الإعلانَ الجريءَ عن تحييد الدين عن الدولة وعن نظم العيش، والإعلانَ عن تطبيق الفكر الغربي الرأسمالي في الحريات العامة والحقوق. وفيه وقاحة شديدة إذ هو يدعو إلى العلمانية ويزعم أن ما يدعو إليه إسلام رغم ما فيه من فجور وإعلان حرب على الإسلام. وهو خطير لأن هدفه زرع مفاهيم لدى المسلمين بأنه لا تناقض بين الإسلام والعلمانية، وبأن الإسلام لا شأن له في الحكم وأنظمة الحياة.

ورب قائل يقول: وهل يمكن أن يبلغ الجهل والتناقض والانحطاط عند المسلمين هذا الحد!

والجواب: إن الأمر يعتمد على مدى النجاح التأثير في المسلمين بحملهم على التفكير الجاد والموضوعي، وعلى عدم الانقياد للمشاعر والعواطف، أو لتضليلات الإعلام المأجور وعلماء السلاطين ومشايخ البلاط. فإذا لم يوجد هذا التفكير الصحيح والإلتزام به، ونجح مكر الكافرين، وانقادَ الناس للتضليل، فطبيعي جداً أن يبلغ الجهل والانحطاط هذا الحد. والوقائع التي

مرت أعلاه تؤكد ذلك. فقد صفق الناس لموقف أردوغان في دافوس، ولموقفه بشأن أسطول الحرية وسفينة مافي مرمرة، وكذلك رأينا تأييداً له وتبريراً رغم انكشاف مزاعمه بأنه لن يسمح بحماة ثانية، والأمر نفسه يُقال بشأن المجازر اليومية في حلب وفي غزة والقدس. ومثل ذلك يُقال بشأن تشريع الزنا واللواط والترخيص بشواطئ للعراة. ومع ذلك يرى كثيرون أردوغانَ زعيماً إسلامياً. وهذا مما يشجع أمريكا على المضي قدماً بهذا المخطط، والاعتماد فيه على أردوغان لأنه أثبتَ نجاحه حتى الآن.

فإذا أردنا إفشال هذا المخطط الخبيث ضد الإسلام فينبغي أن نواجهه. ويكون ذلك بكشفه وفضحه وتحذير المسلمين منه، وبكشف كل المغالطات والأباطيل التي تُخادع بها أبواقُ الكذب والتضليل، وكذلك بتحريض الناس على التفكير وبناء المواقف على حقائق الواقع ومقاييس الشرع. وبالاستمرار في هذا الخطاب وهذا الكشف وفي التحريض على التفكير، وكذلك مواجهة كل توجه يبرر الركون إلى الظالمين، وأن تتنوع الأساليب في ذلك. وبتعبير مختصر: يجب كشف أردوغان بحيث تراه الأمة وتعرفه على حقيقته.

يجب كشف الخطة الغربية للقضاء على الإسلام بتفاصيلها

كثرت الوقائع التي تكشف أردوغان وخطرَ أعماله ومواقفه على المسلمين، والأمثلة المذكورة أعلاه في الموضوع هي وقائع ثابتة فلا يصح إغفالها. ولا يمكن لحريص على دينه وأمته أن يتجاهلها فيَثِقَ بشخص كأردوغان أو يروج له ولزعامته، كما لم يجُز ان يروِّج لأشخاص كأتاتورك أو عبد

الناصر. وأردوغان مثل هؤلاء في العمالة والتضليل وفي تضييع حقوق الامة ومقدساتها. وقد صار دوره مكشوفاً للمتابع المهتم، وتزداد علامات الاستفهام والتعجب حول مواقفه وأعماله. وهذا الدور جزءٌ من خطة غربيةٍ شاملة، إذ إنه لم يعد خافياً وجودُ حذرٍ وتخطيطٍ غربيّ شاملٍ؛ أمريكيٍّ أوروبيٍّ روسيٍّ ومن كل دول العالم لمحاربة الإسلام وعدِّه أرهاباً وتطرفاً. وينطبق الأمر نفسه على حكام المسلمين جميعاً، بحيث صار هدف مواجهة الفكر الإسلامي السياسي سياسة متبعة ولها الأولوية عند كل دول العالم، بل وعند مؤسسات الإعلام والتعليم والمؤسسات الدينية ودور الفتوى. وما تعبير "الحرب على الإرهاب" إلا عنواناً لهذا التوجه الغربي والعالمي.

إن فكرة "الحرب على الإرهاب" فكرة عامة قد تأخذ بها أي دولة من دول الكفر أو أي مؤسسة من مؤسسات المجتمع، ومنها مراكز البحث والفكر، ثم تقاربها بالمعنى والشكل والتفاصيل التي تنسجم مع مفاهيمها ومصالحها وقدراتها. وقد أدى هذا الأمر إلى وجود كمٍّ كبيرٍ من الإجراءات والأفكار والمقترحات لأجل هذه الحرب. ولا يرتاب الباحثون بأن تفاصيل هذه الدراسات هي حول الإسلام وأفكاره السياسية وكيفية مواجهته. وقد نمت أفكار محاربة الإسلام واتسعت مع الوقت ومع تصاعد الصحوة الإسلامية، وفرضت نفسها على دول العالم، وبخاصة الدول الاستعمارية التي لا تستطيع البقاء ما لم تهيمن على الآخرين وتستعمرهم، وعلى رأس هذه الدول أمريكا باعتبارها الدولة الأولى في العالم، والأخطبوط الضخم الذي يمدِّد أذرعه ليحيط بالكرة الأرضية كلها

ويثبِّتَها ويتملّكها. لذلك آل الأمر إلى أن تقود أمريكا فكرة "الحرب على الإرهاب" وأن تجعلها استراتيجية عالمية لها وللعالم، وكأنها عنوانُ مرحلةٍ زمنيةٍ مفتوحةِ المدى وغير محدَّدة بمدة، ولكنها محدَّدة بهدف القضاء على الإسلام.

تدرك أمريكا أن حربها ضد الإسلام ليست سهلة، وقد عانت منها أكثر من مرة، وتكرَّر فشلها فيها. فقد أدركت أمريكا في الثمانينيات نمو الصحوة الإسلامية وتجدُّدَ الفكر الإسلامي السياسي عند المسلمين وتصاعده، ولمست أنها عاجزة عن تحقيق انتصار على الإسلام في الصراع الفكري والحضاري، ورأت أنه لا بد من حملة عسكرية دموية ضخمة لإخضاع المسلمين وكل العالم الإسلامي، وبخاصة بعد أن سقطت الشيوعية كعقيدة وفكر سياسي ونظام حياة وبدا الأمر نصراً للرأسمالية التي تقودها أمريكا، ولم يبق في الميدان إلا الإسلام الذي استعصى على الإخضاع والاستتباع للغرب، وعلى الإخراج من ساحة الصراع الفكري والحضاري. فبدأت أمريكي تهيِّء الرأي العام العالمي وبخاصة الأمريكي للحملات الدموية على العالم الإسلامي. وكان من أعمال تلك التهيئة مقالةٌ بعنوان: "نهاية التاريخ" لليباني الأمريكي فرانسيس فوكوياما نشرتها مجلة ناشيونال إنترست سنة ١٩٨٩، ثم فصّل الكاتب نفسه مقالته في كتاب بعنوان "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" سنة ١٩٩٢. وفكرة الكاتب أن العالم وصل إلى نهاية تطوره على صعيد الحضارات، وأن الحضارة النهائية هي الحضارة الغربية والديمقراطية الليبرالية، التي انتصرت – بنظره – على كل الأفكار والمبادئ الإخرى

بما في ذلك الإسلام. ومرادُ الكاتب من ذلك أن الإسلام مهزوم تلقائياً وسيتلاشى طبيعياً من غير توجيه ضربات قاضية إليه. بعد ذلك بقليل نشرت مجلة فورين أفيرز مقالة لصموئيل هنتغنتون سنة ١٩٩٣ بعنوان: "صدام الحضارات" تذهب إلى نفس النتيجة التي ذهب إليها فوكوياما، ولكنها أخذت شكل الرد على فوكوياما والاختلاف معه لجهة أن هزيمة الحضارات الأخرى – والمقصود الإسلام، لأنه بعد سقوط الشيوعية في العام ١٩٨٩ لم يبق في ميادين الفكر السياسي ونظم العيش إلا الإسلام والرأسمالية – لن تحصل تلقائياً وإنما لا بد من صدام دموي. وصُنعت لهذه المقالات دعاية عالمية واسعة مما يؤكد أن الأمر سياسة مقصودة يقف خلفها توجه قوي يريد غزو العالم الإسلامي للقضاء عليه كحضارة ونظام سياسي. لذلك ما لبثت مقالة هنتغتون أن تحولت إلى كتاب بعنوان: "صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي". وصُنع للكتاب دعاية عالمية وأثيرت حوله ضجة كبيرة وشرحته مقالات، وتُرجِم إلى حوالي ٤٠ لغة. وهدف الكتاب واضح بأنه تهيئة للرأي العام الأمريكي – والعالمي أيضاً – ليتقبل ضرورة أو حتمية الصراع المادي بين الحضارات عموماً، وبين الرأسمالية والإسلام على وجه الخصوص، وقد حرّض الكاتب على هذا الأمر بشكل كبير، ومن أُقواله في ذلك: "إن حدود الإسلام كانت دائماً دامية". وهذا تهيئة لهجوم عسكري تاريخي على العالم الإسلامي.

وكانت أمريكا قد بدأت حربها هذه على الإسلام بهجومها على العراق في كانون الثاني ١٩٩١، إلا أنها تعثرت بعد ذلك وتجمد مشروعها الدموي

بسقوط بوش الأب في انتخابات عام ١٩٩٢. ورغم تجمُّد هذا المشروع إلا أنه ظلَّ حياً ويزداد روّادُه حماساً واستعجالاً له طيلة فترتَيْ حكم الديمقراطي بِل كلِنتون. ثم تجدَّد ووُضع موضع التنفيذ مع استلام جورج بوش الإبن حكمَ أمريكا في كانون الثاني سنة ٢٠٠١، حيث باشر الهجوم على أفغانستان في تشرين أول ٢٠٠١، ثم الهجوم على العراق في آذار ٢٠٠٣ غير آبه بأي قانون أو أخلاق، وأعلنها حرباً صليبية. وقد سُمِّيَ بوش وفريقه في الحكم المحافظين الجدد، وأطلق عليهم أيضاً اسم الصقور، كانوا يردُّون على الذين يعارضون هجومهم العسكري الدموي والشامل على الإسلام مقترحين الحرب الفكرية الحضارية والديبلوماسية بديلاً عنها، كانوا يردُّون عليهم بأن أمريكا والغرب قد خسروا الحرب الفكرية ضد الإسلام، وأنهم خسروا حرب الأفكار والعقول. ومرادهم بهذه الأقوال إنه لا مندوحة عن هذه الحرب العسكرية الدموية الضخمة ضد العالم الإسلامي، لأنه لا يمكن مواجهة الإسلام وإخضاعه وتطويعه إلا بها.

قامت أمريكا في آذار ٢٠٠٣ بهجومها الكاسح على العراق واحتلته خلال عشرين يوماً، والمسلمون يراقبون ويترقبون! ووقف العالم الإسلامي حينذاك على أعصابه المتوترة وعلى شفير الانهيار. ثم لم يلبث الشعب العراقي أن استجمع قواه وبدأ رد فعل ضد أمريكا ووحشيتها وحقدها على الإسلام والمسلمين. وساعد على ذلك موقف كلٍّ من أوروبا وروسيا اللتين لمستا توجه أمريكا بكبر وغرور نحو التفرد في حكم العالم ورسم السياسات فيه والأدوار، فساهمتا بشكل مؤثر في عرقلة هذه السياسة

الأمريكية. لذلك ففي حين كان جورج بوش يعلن انتصار أمريكا في الحرب على العراق وإنتهاء الحرب لصالحه وذلك مطلع أيار ٢٠٠٣، كانت الحرب ضد أمريكا في الحقيقة تبتدئ، حيث اشتعلت الأرض تحت أقدامها وحصل ما لم يكن بحسبانها، وتبع ذلك اشتعال الأرض تحت أُقدامها في أفغانستان، وانقلبت نتائج هجومها على العالم الإسلامي استنزافاً عسكرياً ومالياً وأخلاقياً لها، وأدركت أنها خسرت الحرب العسكرية أيضاً ضد الإسلام والمسلمين. وقبل أن تنتهي فترة حكم جورج بوش الأولى نهاية العام ٢٠٠٤ كان حكام الولايات المتحدة وسياسيوها ومفكروها يبحثون بقلق وتوتر شديدين عن مخرجٍ من هذا المأزق الخطير الذي وقعوا فيه.

وهكذا، فقد خسرت الولايات المتحدة والغرب كله الحرب الفكرية ضد الإسلام، ثم جربت الهجوم العسكري العالمي الكاسح الذي اجتاح أفغانستان ثم العراق، فهُزمت هزيمةً نكراء ومؤلمة. فرجعت تستشير خبراءها وقواها الفكرية والسياسية، وتدرس مأزقها وكيفية الخروج منه، والإسلامَ وكيفية التعامل معه. ونشطت مراكز الدراسات الفكرية والسياسية في تقديم بحوثها واقتراحاتها لحكام أمريكا، وكثرت الدراسات والأبحاث في هذا الشأن من قِبل مفكرين وسياسيين وحكام يقدمون دراساتهم وتوصياتهم لما يجب أن تفعله أمريكا وما يجب أن تكون عليه في سياساتها وعلاقاتها مع العالم، ومنه العالم الإسلامي وبلدانه. ومن هذه المراكز مثلاً معهد راند ومعهد بروكنجز ومعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى وغيرها. وكانت النتيجة توصياتٍ كثيرةٍ متعددة، إلا أن الذي تم اعتماده

منها هو الذي رأيناه يتنفذ، والذي بدأ الإعلان الرسمي عنه بوثيقة بيكر هاملتون التي صدرت نهاية العام ٢٠٠٦، وقد ظهر فيها تغييرٌ استراتيجيٌ كبيرٌ في سياسة أمريكا تجاه العالم الإسلامي وعدولٌ كبير عن سياسة المحافظين الجدد وبوش وصقوره الذين أخذوا يتساقطون كالدجاج الكسيح.

ومن أبرز ما بدأ فيه هذا التغيير الإستراتيجي الأمريكي إخفاء العداء للمسلمين والعالم الإسلامي، وإظهار الود والحب والندم على ما فعله بوش، وإظهار حب الإسلام وتشجيعه، وذلك من خلال تشجيع الإسلام الأمريكي الوسطي المعتدل ومضامينه العلمانية، وإبراز رجالاته، ورفض ربط اسم الإسلام بالإرهاب، ورفض أي كلام يقول إن الحرب على الإرهاب إنما هي حرب على الإسلام. وفي الوقت نفسه، فبما أن هناك توجهاتٍ إسلاميةٍ تكشف حقيقة أمريكا وحضارتها وسياستها ومَكرَها، وتواجه أفكارها في الديمقراطية واقتصاد السوق وسائر الحريات العامة وحقوق الإنسان، وتعلن أن الإسلام والغرب والحضارة الغربية في صراع، وهو صراع بين الإسلام والكفر، وبما أن هذا التوجه يفسد على أمريكا خداعها واستعمارها ويُجهض خططها في تحريف الإسلام وطمس أحكامه، ويكشف عملاءها من زعماء التحريف والتضليل، لذلك فإن هذا التوجه خطِرٌ على سياسة أمريكا، وبخاصة أنه متنامٍ وينتشر. لذلك وعلى الرغم من أن أمريكا اختارت في سياستها الجديدة لمحاربة الإسلام أسلوب إظهار الود والحب والديبلومسية، فإنها وضعت مع ذلك أسلوب الحرب والضرب للإسلام الحقيقي وأطلقت على هذا الأمر اسم محاربة الإرهاب

ومواجهة التطرف. ولكي لا يؤدي هذا إلى كشف خدع أمريكا وأنها في الحقيقة تحارب الإسلام، أوجدت هي جهاتٍ تقوم بأعمال إرهاب، لتبرر سياساتها في الحرب العسكرية حيث يلزمها ذلك. وهي تجبر كثيراً من دول العالم على السير خلفها في استراتيجية الحرب على الإرهاب. لذلك فإن جديد أمريكا في نهاية العام ٢٠٠٦ في خطتها للقضاء على الإسلام هو استراتيجية واسعة عنوانها: "الحرب على الإرهاب"، ويندرج تحتها خطط كثيرة، منها ما يدخل تحت عنوان الصراع الفكري والأساليب السياسية والديبلوماسية التي تقوم على الدس والخداع وشراء الذمم، ومنها ما يندرج تحت الحرب العسكرية والقضاء على من يسمونهم إرهابيين ومتطرفين.

ولقد تأكدت هذه التوجهات من خلال وقائع كثيرة دلت عليها وعلى تفاصيل لها في خطط تختلف من مكان لآخر، كما دلت عليها إصدارات لمراكز دراسات، وسياسات لباراك أوباما وخطابات له ولغيره من مسؤولين أمريكان، وقد سار أوباما في تنفيذ هذه الاستراتيجية التي جيء به لأجلها، وظل يكشف عنها وعن خططها التفصيلية بخطاباته وسياساته من أول يوم انتُخب فيه رئيساً للولايات المتحدة نهاية عام ٢٠٠٨ وحتى نهاية فترته الأولى تقريباً مع نهايات العام ٢٠١٢. وهي فترة كانت الولايات المتحدة تراجِع فيها استراتيجيتها الجديدة وتقوِّمها. وتوصلَت من مراجعتها إلى تعديلات مهمة عليها بشأن الحرب على الإسلام. وعلى ذلك فقد بقيت هذه الاستراتيجية ثابتة من العام ٢٠٠٦ إلى بدايات العام ٢٠١٣، حيث طرأ عليها تعديل مهم. وسبب التعديل هو الثورات التي

انفجرت في بعض البلاد العربية، وظهر فيها توجه شعبي كاسح نحو تطبيق الإسلام. ففي البداية اطمأنَّت أمريكا إلى قدرتها على تطويع الثورة التونسية لخدمة استراتيجيتها في الحرب على الإرهاب، من خلال حركة النهضة ومشايخها وأمثالهم الذين أثبتوا لها وللغرب أنهم علمانيون. وكذلك اطمأنّت إلى إحاطتها بالثورة المصرية بواسطة الإخوان المسلمين بشكل رئيسي، الذين سارعوا إلى الموافقة على كل ما يرضي أمريكا من قوانين وأنظمة وعلاقات سياسية تحفظ مصالح الغرب والعلاقات مع إسرائيل. فكانوا علمانيين عملياً كحكام تونس. وكذلك شعرَتْ أمريكا بنصرٍ لحضارتها وديمقراطيتها بعد أن صوَّت الناس في كلٍّ من البلدين على دستورٍ ديمقراطيٍّ علماني، متوهمين الأمر نجاحاً للإسلام، وبخاصةً في مصر التي خرج إخوانها وسلفيوها يصفقون لدستور كفر ويقولون إنه إسلام. وكانت أمريكا حتى ما بعد منتصف العام ٢٠١٢ ترى في هاتين الثورتين نصراً كبيراً لها، لما رأته فيهما من تحوُّلٍ ديمقراطيٍّ لطالما وضعت مراكزُ البحث والفكر عندها الدراساتِ والتوصياتِ لأجله.

فظهر الأمر نجاحاً وامتداداً للنموذج التركي، وأن مسيرة القضاء على الإسلام ماضية بنجاح، بل وبتصفيق من المسلمين. فأغرى هذا الأمر أمريكا التي اندفعت في هذه الاستراتيجية، فجاءت لتطبقها في سوريا بإشراك الإسلام المفرغ من مضمونه في الحكم، بقيادة أشخاص على نمط أولئك الذين جاؤوا لحكم تونس ومصر. إلا أنها فشلت في سوريا رغم تكرار محاولاتها، ووجدت بعد ذلك أن هذا الإسلام المعتدل مآله إلى فشل، فهو لم يجد طريقاً إلى أدنى نجاح في سوريا، ثم بدأ ينكشف ويفشل

في مصر وتونس، وأخذ ينمو في مقابله وعلى حسابه الإسلام الحقيقي الذي يريد التخلصَ من حكم الكفر ليقيم الخلافة ويطبِّق الإسلام. فكان هذا سبباً في أن تعيد أمريكا النظر في استراتيجتها في الحرب على الإسلام، وأن تعدِّل منها على وجه الخصوص خطة استخدام ما تسميه الإسلامَ الوسطيَّ أو المعتدل وتسليم الحكم للذين يعلنون هذا التوجه، حتى ولو كانوا علمانيين فعلاً. وكان قد انبرى لرفض فكرة ستخدام أمريكا للإسلام المعتدل الأمريكان المحافظون المعارضون لشيء إسمه إسلام معتدل أو وسطي، وأمثالهم من الأوروبيين، وكثيرٌ من اليهود ومن علمانيي العالم العربي وبخاصة في مصر، وكانت النتيجة أن تتخلى أمريكا عن هذا التوجه.

وما أن بدأت فترة حكم أوباما الثانية حتى ظهرت أمارات هذا التعديل الذي نتج عنه إزالة حكم الإخوان من مصر، والمجيءُ بحكم معادٍ للإسلام وحاقدٍ عليه. ثم ملاحقة الإخوان المسلمين بشكل تطهيري وهستيري وزجُّهم في السجون. وكذلك نتج عنه تغييرٌ في سياسة أمريكا في سوريا فتخلت عن فكرة تسليم الحكم لأصحاب شعارات الإسلام المعتدل من الإخوان المسلمين وسائر أدوات تركيا أردوغان. وقد انزعج كثيراً أردوغان من هذا التغير الذي أقلقه وأفقده كثيراً من هيبته التي كان يتظاهر بها.

لقد باشرت أمريكا تنفيذ التعديلات على استراتيجيتها للحرب على الإرهاب ربيعَ العام ٢٠١٣. وظهر أنها تبنَّت تغليب جانب القوة والجبروت تجاه المسلمين، على جانب الحوار الفكري والسياسة والديبلوماسية. وذلك

بسبب ما عانت منه من عدم انخداع أهل سوريا بما يُسمى الإسلام المعتدل والوسطي، ولا بروَّاده المتاجرين بالإسلام. فتبين لها أن فرص النجاح بما تسميه سياسة وديبلوماسية واحترام وبمخادعات حوار الحضارات ضئيلة. فزادت من سياسة استعمال القوة المادية والحروب العسكرية بشكل كبير على حساب الديبلوماسية والحوار، وبهذا فقد رجعت خطوةً إلى الوراء باتجاه الرؤية السابقة للمحافظين الجدد، ولكن بأساليب مختلفة. ومما أضافته إلى استراتيجيتها في هذا التعديل إشعالُ بلاد المسلمين – حيثما رأت ذلك مناسباً لها ولمصالحها – بحروبٍ تستنزف فيها المسلمين وبخاصة الشباب الذين يرفضون الحضارة الغربية ويتطلعون إلى إقامة دولة الخلافة والحكم بما أنزل الله، ويشكلون قوة لهذه الدعوة. ولأجل ذلك فهي تسهِّل لأصحاب هذا التوجه وبخاصة المتحمسون للجهاد ولِقتال الغربيين، تسهِّل لهم التنقل والتوجه إلى مناطق الاشتعال، وتهيئ لهم من يسلحهم ويموِّلهم. لذلك رأينا تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" يعلن عن نفسه رسمياً في نيسان ٢٠١٣، أي في ربيع ٢٠١٣ ومباشرة بعد بدء فترة أوباما الثانية. ثم رأينا هذا التنظيم يتمدد في العراق وسوريا ثم في ليبيا وبلاد أخرى، ورأينا دوره في سوريا والعراق يخدم هذا التعديل في استراتيجية أمريكا، أي أنه يخدم عملية استنزاف حملة التوجه الإسلامي المذكور، وكذلك يخدم تشويه الفقه الإسلامي السياسي وفكرة الخلافة ومشروعها، ويفعل الكثير لتكريه المسلمين بتطبيق الإسلام. ولكي تتجاوز اميركا التأثيرات السلبية لزيادة استعمال القوة ضد المسلمين فهي لا تُظهِر على لسان حكامها إلا القليل

من ذلك، وتحرص قدر الإمكان على استخدام غيرها للقيام بهذا الدور الذي يبرُز فيه العداءُ للإسلام والمسلمين. من ذلك مثلاً إعطاؤها هذا الدور لروسيا التي بدأت القيام به في سوريا في ٣٠ أيلول ٢٠١٥ نيابةً عنها.

كانت هذه ملامح عامة لاستراتيجية أميركا في الحرب على الإسلام، ويكاد يكون هذا العرض إثباتاً لوجود هكذا استراتيجية ولتطورها. والأمر الطبيعي أن هناك خططاً تفصيلية كثيرة لها. فهي استراتيجية لها مؤسساتها المختلفة؛ الإعلامية والتعليمية والإنسانية والنسائية والحقوقية والاقتصادية غيرها وكافة مؤسسات ونشاطات المجتمع المدني. وتختلف خططها بحسب المجتمعات، فهي في المجتمعات ذات الاكثرية الإسلامية كمصر والمغرب مثلاً غيرها في المجتمعات ذات الاقلية الإسلامية كأمريكا والدنمرك مثلاً وهكذا. أضف إلى ذلك إجبارَ أمريكا بلدانَ المسلمين على أن تكون أولوية الجيوش والأجهزة الأمنية فيها محاربةُ الإرهاب.

وإنه لمن الضروري استكشاف هذه الاستراتيجية الأمريكية للقضاء على الإسلام بتفاصيلها، لأن الوقوف على حقيقتها هو أول مقتضيات مواجهتها وإفشالها. وليس من موضوع هذا البحث استقصاءُ هذه الاستراتيجية وتفاصيلها. وإنما موضوع هذا البحث هو واقع أردوغان وحقيقته. وقد لزم التطرق إلى هذه الاستراتيجية لأن دور أردوغان هو ركنٌ فيها، ويراد له أن ينجح في القضاء على الإسلام الذي فشل فيه

أتاتورك. فإذا كان أتاتورك قد قطع رأس الإسلام واقتلعه من الحكم، فإن أردوغان يريد أن يقتلعه من النفوس.

إن خطط القضاء على الإسلام لم تتوقف منذ بعث الله ﷻ نبيه ﷺ بالهدى ودين الحق، ولم تنجح ولن تنجح. ومهما اقتربت من تحقيق غايتها فستفشل، وسيرتدُّ كيدُ الكائدين ومكر الماكرين عليهم وفي نحورهم. هذا ما بشَّر به القرآ ن الكريم في نصوص كثيرة قطعية الدلالة، منها قوله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣)﴾ سورة التوبة. وقوله أيضاً: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)﴾ سورة الصف.

في ختام هذا البحث

داء الأمة وأزمة النهضة

أزمة محاولات النهضة

لا يماري أحدٌ في أن الأمة الإسلامية اليوم محكومة لعدوها، وهي على هذا الحال منذ ما يقارب القرن. وقد قامت محاولات كثيرة لتخليصها مما هي فيه وكلها باءت بالفشل، مما يعني أن هذه المحاولات لم تعالج الداء، ربما لم تكن صالحةً لعلاجه، وربما لم تكن كافيةً لذلك، وربما لم تُصِبْه. وما يزال تحكُّم عدوِّ الأمة بها يزداد، ومحاولات التخلّص منه تفشل، وكلما سلكت الأمة سبيلاً للتحرر سدَّه عدُوُّها وضيَّق عليها الحصار. وهذا يعني أن هناك فوق الداء أزمة. فالأمة مأزومة، وذلك أنّ روادَ الإصلاح والعلاج والنهضة والتغيير والتحرير فيها كلَّهم مأزومون.

لقد كان للمحاولات الكثيرة التي قامت تأثيراتٌ كبيرة ومفيدة، ومنها ما كان مطلوباً ولازما ولا تنجح المحاولات بدونه. إلا أنها لم تُحدِث التغييرَ المنشود؛ فلم تؤدِّ إلى العلاج أو الانعتاق أو الخلاص. وهذا يعني أن ثمة ما هو مفقود، وفقدُه هو الذي يُفسِد المعالجات ويُجهض المحاولات. وبعد الدراسة والبحث والتجربة والمراقبة تبيّن أن هذا المفقود هو أساس الداء ولبُّه. وفقده هو الذي يمنع من إدراك قضايا الأمة والأحجام الصحيحة لهذه القضايا، وهو الذي يؤدي إلى خطأ

تشخيص الداء وعدم نجاعة المعالجات، فتكثر الأدواء. وهذا المفقود هو أولاً وقبل أي شيءٍ آخر التفكير وتقصُّد إدراك الحقائق، وبخاصةٍ في القضايا العامة، أي في القضايا السياسية، ويتعلق بذلك طبيعياً التمسُّك بهذه الحقائق سواءٌ الشرعية أو غيرها، وذلك بالتقيد بها وبتوجيه النظر وتحديد المواقف بناءً عليها، بعيداً عن العواطف والميول. وهذا التفكير ثم الإدراك هو الذي يُحرّك الجمهور للتغيير الفعلي، وهو الذي يعصم مِن الوقوع في مكائد شياطين الإنس والجنّ وأتباعهم، ومِن فشل محاولات التغيير والنهضة.

لذلك أختم هذا البحث بما بدأته به، وهو الحث على التفكير، والدعوة إلى معالجة مشكلة عدم التفكير أو ضعفه عند الأمة. والمقصود هو التفكير السياسي، التفكير بالمسؤولية عن المسلمين، ثمَّ عن الناس كافة، ثم التفكير بالمعالجات العملية والشرعية؛ أي التي تقوم على الإحساس بالربط بين الأعمال والنتائج المتوخاة منها، وعلى معرفة أخطار الواقع وعقبات السير وعثرات الطريق. وذلك يقتضي حملَ الأمة حملاً على التفكير والاستنتاج، والنعيَ عليها بسبب عدم التفكير وعدم قصد الاستنتاج والفهم، وذلك اتِّباعاً لمنهج القرآن الكريم في ذلك. ومما يقتضيه العلاجُ أو يعنيه الحملُ على التفكير أو الإجبارُ عليه، لفتُ النظرِ إلى الوقائع بشكلٍ متكررٍ وبخطابٍ ميسرٍ ومتتابع، وصدْمُ الناس بالأحداث ليقفوا عليها ويشعروا بالحاجة لفهمها.

طاقات الأمة هائلة وكفيلة بالتغيير الكامل

إنَّ طاقاتِ الأمة هائلة حقاً، بخلاف ما يشيعه ويروِّج له العملاء والمثبطون والرويبضةُ، فعلى الصعيد المادي هي أمة مليارية عندها شعور قوي بالترابط والوحدة، وقابلية الوحدة السياسية والتعاون قويةٌ جداً عندها وسجيَّةٌ مغروزةٌ فيها. وتستطيع إذا انقادت لسياسة معينة أن تؤثر في جل بل كل بلدان الأرض. وهي تنتشر فوق مساحات شاسعة من أهم المناطق جغرافياً، ومن أغناها بكافة أنواع الثروات، فتأثيرها الجيوسياسي كبير، ويعطيها أهمية استراتيجية كبيرة من حيث إمكانية صناعة السياسات والتحركات السياسية والتعاون حيثما يوجد مجتمعات. وعندها من أبنائها الغيورين عليها المنتشرين في أصقاع الأرض جيوشٌ من المتخصصين والخبراء في كلّ أنواع العلوم وفروعها. وعلى الصعيد المعنوي فهي أمة ذات تاريخ مشرف، سِجِلُّه طويل وعريض في الانتصارات والامجاد ومواقف العز. وهي ذات تطلع قوي للانعتاق من هيمنة الغرب ورجسه، وتؤمن بتحرُّرها وباستعادة هذا العز إيماناً لا يتطرق إليه ارتياب. وعلى الصعيد الروحي هي أمةٌ ذاتُ عقيدةِ جهادٍ واستشهادٍ، وصبرٍ وتحمُّلٍ وتضحيات، وتستوعب الموتَ والفقرَ والضنك والمصائب، كما أنها تمتلك النظام الرباني القويم الحكيم لشؤون الفرد والمجتمع والدولة وكل العلاقات. وهذا يؤهلها إذا توفرت القيادة السياسية الواعية والتخطيط السياسي الصحيح والجاد، لأن تصبح قائد البشرية والقوَّام عليها بأسرع مما يخطر على البال، مثلما حصل في بداية أمر هذا الدين على يد النبي ﷺ. وإنما يحتاج الأمر لتفكيرٍ سياسيٍّ جادٍّ، أي

لتفكيرٍ مفكرين يعرفون طاقات الامة الإسلامية وما هي الطاقات التي تبني أمّةً ودولةً، ولتفكيرٍ يُجيد التخطيط لتوظيف هذه الطاقات في مشروعِ تغييرٍ عمليٍّ يدرك الواقع كما هو على حقيقته، ويوظِّف ما يستطيع مما عنده ومن موجودات الواقع أو عناصره، ويرسم بذلك الخططَ القابلة للتنفيذ والتي تخدم المشروع، وينطلق من الواقع كما هو للوصول إلى الهدف المنشود الذي يُغَيِّر الواقع بخطوات مادية طبيعية، بالأدوات والوسائل والأساليب والإمكانيات المتاحة، والتي تنمو وتزداد بالتخطيط والجدية، ويسير في كل ذلك ملتزماً بضوابط الشرع.

ليس موضوعنا في هذا البحث عرض تصور لهكذا خطط، فمثل هذا الامر يحتاج لأبحاث وفتح آفاق في مجالات ومواضيع كثيرة، تُبذلُ فيها جهود متخصصين في شؤون الدول والمجتمعات المختلفة وعلاقاتها، والأوضاع السياسية والاقتصادية والأمنية وموازين القوى وأنواع القوى وتفرعات ذلك كله. وإنما موضوعنا هنا هو الإشارة إلى خطر وتأثير غياب التفكير السياسي العملي في شؤون الأمة وواقعها وما يجب أن تكون عليه والسبيل الصحيح والشرعي إلى ذلك. هذا الغياب الذي جعل صوت الرويبضة في شعوب الأمة هو المرتفع، وجهَّل الأمة بدورها وأضعفها وأفقدها حيويَّتها وفعاليَّتها، حتى صارت كأسد يحتضر، تقفز حوله السعادين وتبول عليه الثعالب وتفترسه الضباع. مصداقاً لحديث ثوبان عن النبي ﷺ: "يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا. فقال قائل: ومِن قلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: بَلْ أَنتُمْ يَومَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ المَهَابَةَ مِنكُمْ،

وَلَيَقذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الوَهَن. فقال قائل: يا رسول الله! وما الوَهَن؟ قال: حُبُّ الدُّنيَا وَكَرَاهِيَةُ المَوتِ" أخرجه أبو داود وأحمد وهو صحيح بطرقه وشاهده. هذه الغثائية وهذا الوهن هو ما يؤدي إليه الانخداع بالأعداء والعملاء، والثقة بالتافهين الرويبضة، وهما بدورها نتيجة ضعف التفكير والعدول عن الطريق المستقيم.

هلَّا يُفكِّرون ويَتَّعِظون؟

لقد انخدع الناسُ برجالٍ وشعاراتٍ وبخطبٍ ووعود، سواءٌ في تحرير المقدسات أو رد الكرامات، أو وحدة الأمة أو تحقيق النصر، أو حفظ العرض والدين والعيش الكريم. ولو كان الناس يقفون ساعةً من نهار للتفكير في الأحداث التي تمر بهم ويسألون أنفسهم:

هل جنيتم من هذه الشعارات والأعمال خلال عقودٍ بل خلال قرنٍ تحريراً للمقدسات؟ لقالوا لا، بل انتُهكت أكثر.

هل ترَوْن الإسلام يُطبَّق او على وشك التطبيق هنا أو هناك؟ لقالوا لا، بل دعاة تطبيقه يبرِّرون عدم تطبيقه.

هل تشعرون بعزةٍ او كرامةٍ في علاقاتكم مع دولكم او اجهزتكم؟ لقالوا لا، بل نشعر بالذل والمهانة.

هل تشعرون بعزةٍ أو كرامةٍ أو احترامٍ في معاملة الشعوب الأخرى لكم؟ لقالوا لا، بل ينظرون إلينا كأننا مصدر تخلُّفٍ وخطر، ويعاملوننا باستهزاءٍ واحتقار، وكأننا دون البهائم.

هل يحصل اهل فلسطين وغزة و... على حقوقهم في العيش بكفايةٍ وكرامةٍ وحريةٍ ووو... لقالوا لا.

هل تشعرون بالأمن على أنفسكم وأعراضكم وأموالكم و... ؟ لرأيتهم يهزُّون رؤوسهم بتحسُّرٍ وأسىً.

ولو سألتهم عن اوضاعهم الاقتصادية لقالوا إن الفقر يزداد والضيق يشتد والسبل تزداد انغلاقاً.

ولو سألتهم هل هذه الدول أو التنظيمات التي تصفقون لها وتفتخرون بها، تُحَقِّقُ ما وعدتْ به من أهدافٍ كتحرير فلسطين أو جزءٍ منها، أو تُحَصِّلُ لكم ما تصبون إليه من نصرٍ أو عزٍ، أو كفايةٍ في العيش والأمن، أم أنها تتنازل عن الحقوق والمقدسات وتبرِّرُ المخازي، وتهين الشعوب وتسحق كراماتِها؟ لقالوا بل الوضع مؤلمٌ جداً ولا يُطاق، وهو على النقيض مما يتباهى به الأدعياءُ والمدسوسون.

فإذا كان الحال كذلك، علامَ إذن يُصفقون؟ أو يمدَحون ويحتفلون؟ ولماذا يُمَنُّون أنفسهم بما لا يكون؟ لماذا؟

إنها الغفلةُ عن الهدف والتيهُ في الطريق، والبلادة في الإحساس، والبلاهة في الاتباع، والتقليد الأعمى. وهذا هو الانحطاطُ في الفكر والضعفُ في التفكير. ويا له من داء! إنه أسوأ أدواء الأمم؛ تعطيل التفكير ثم اتِّباع الأهواء وما تزخرفُه الشياطين. قال ﷻ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠)﴾ سورة النساء.

فلو وقف هؤلاء ونظروا بعين العقل، لرأَّوْا أنهم يعيشون في ظلماتٍ وتغشاهم الشياطين، وأن أقلَّهم تيهاً هم اللاهثون خلف سراب. فهم في اسوأ اوضاع، ومع ذلك يحتفلون ويرقصون وكأنهم حققوا كلَّ أهدافهم وأهداف الامة! ما أغباهم وما أتعسَهم! أفلا يُفكِّرون! قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)﴾ سورة الحج.

لو نظر الناس بمسؤولية وفكَّروا في فعائل أردوغان ورأَوْا ما ينزل بهم جرَّاءَها، هل كانوا ينخدعون به؟ قال ﷻ: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)﴾ سورة التوبة. ولكن منهج المخادعين والمبررين يقول: إنه لا يستطيع، فلا تلوموه ولا تتهموه، أعذروه لانه عاجز!

فيا سبحان الله! لا يستطيع! لماذا هذا الدفاع السمج عنه؟ هل هكذا كان موقف قدوتنا ﷺ يوم بدر، أم هكذا كان موقفه ﷺ يوم الخندق! ألم يعلم هؤلاء المدافعون بالموقف الذي بيّنه ﷺ وأعلنه لكل الدنيا في سورة "الكافرون" يومَ الإعلان العالمي للمفاصلة مع الكفر ورفض أي مساومة معه!

وأين ذهب دعاة الإحباط والمخذِّلون بقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)﴾ سورة محمّد. وبتأمينه لأوليائه ﷻ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦)﴾ سورة الزمر. وأين ذهبوا بكل المنهج الذي اختطَّه

لنا رسول الله ﷺ وسار عليه في معالجة المشاكل، وفي سيرته وغزواته، وأعماله ومواجهاته، وصبره وتحمله للمشقات.

لا بد من قول الحقيقة وإن كانت مُرَّةً وصادِمةً: إنها الخيانة والمسارعة في الكفار، وإنها قصد ارضاء اليهود والنصارى، وهي أيضاً اليأس الناتج عن ضعف الإيمان وعن الزيغ، وهي أيضاً جهلُ العوامِّ وحيرتُهم مما يَرَوْنه من الذين يعدونهم مشايخ وعلماء ومسؤولين وقادة وقدوات. قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣)﴾ سورة المائدة.

فعليكم أيها المسلمون أن تختاروا بين سبيل النبي ﷺ، وسُبُل المحرفين والمخادعين ومرضى القلوب والزائغين، مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾ سورة الأنعام.

عليكم أن تختاروا بين دخول المواجهة ضد الكفر والكافرين ملتزمين بالإعلان العالمي الذي أعلنه القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢)...﴾ وبين المسارعة فيهم كالذين وصفهم الله ﷻ

بقوله: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ...(٥٢)﴾ .

فليكن اختياركم سبيل النبي ﷺ الذي يدعو إلى التفكير والسير على بصيرة كما قال ﷻ في سورة يوسف: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ(١٠٨)﴾.

اللهم اغفر للمؤلف ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات وأكرمه بأهله وذريته وبالمؤمنين.

قال الله ﷻ

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون﴾

وقال رسول الله ﷺ

"لَيَبْلُغن هذا الأمرُ ما بلغَ اللَّيل والنَّهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ إِلَّا أدخله اللهُ هذا الدِّين، بِعِزِّ عَزِيزٍ أو بِذُلِّ ذَليل، عِزًّا يُعِزُّ الله به الإسلام، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفر"

فهرس الموضوعات